من تدمر إلى هارفارد

رحلة سجين عديم الرأي



براء السراج

من تدمر إلى هارفارد

رحلة سجين عديم الرأي

د. البراء السراج

قسم زراعة الأعضاء, كلية الطب

جامعة نورث وسترن, شيكاغو

إهداء

إلى

والدتي التي بذلت الكثير وواصلت الليل بالنهار باكية داعية

أختي زهراء التي لم تقبل يوما أي احتمال أنني لن أعود

أخي عبد الرحمن ذي القلب الكبير

أخي علاء والعلاقة التوأمية الخاصة

إلى أصدقاء السجن من كل مدينة وقرية في سورية وتضحياتهم من أجل مستقبلها الحر

إلى شهداء سوريا الذين سقطوا ويسقطون بدمائهم لإزاحة هذا الكابوس..عائلة الأسد

بسم الله الرحمن الرحيم

قصتي هذه واحدة من قصص الاف السجناء عديمي الراي و الذين اعتقلوا على يد عديمي الضمير في اي بلد لايقيم لحياة الفرد قيمة ومنها سورية. لكنها ستضفي جوانب اخرى موثقة بالصور و بتواريخ بذلت جهدا خاصا الا انساها رغم قساوة السنين في السجن ومشاغل الحياة بعده. كنت اراجع هذه التواريخ في ذاكرتي عبر ايام السجن الثقيلة واراجع المشترك منها مع اصدقائي نهاية كل عام..لم اجرؤ على كتابتها في سورية بعد اخلاء السبيل خوف زيارة فجائية من المخابرات..اسافر الى الولايات المتحدة بعد عام من اخلاء السبيل اخر 1996. أحاطني الأهل بكل رعاية ودعم مادي ومعنوي أولها تكاليف الجامعة الباهظة. كنت أنوي أن أعمل سائق شاحنة لأستقل ماديا عن الأهل ولحاجتي النفسية للأسفار تعويضا عن كبت السجن الطويل لكن الأهل يصرون على متابعة الدراسة. بدأت دراستي الجامعية من الصفر وقررت أن أدرس علوم الإحياء بعيدا عن الهندسة الكهربائية وذكريات اعتقالي من كليتها في دمشق.. انضم الى جامعة DePaul في آذار 1997 ثم UIC 1998 في شيكاغو..اتخرج اواخر 1999..التخرج كان الوقت المناسب لتسجيل تلك التواريخ قبل ان تنسى اما التفاصيل..فانها حياة لم ولن تمحى.

أدخل برنامج الدكتوراة في علم المناعة بالمركز الطبي لجامعة رش في شيكاغو 2001 وأتخرج في 2006 بأطروحة عن مرض الروماتيزم. أقضي سنتين في جامعة هارفارد 2006-2008 لمرحلة مابعد الدكتوراة والتدريب على التصوير المجهري لخلايا الدم في الكائنات الحية. منذ 2008 وأنا أدرس الجهاز المناعي وتأثيره على زراعة القلب في جامعة نورث وسترن في شيكاغو. حاولت كثيرا أن أكتب تفاصيل السجن لكن لم أستطع نفسيا فكنت أنهي عدة صفحات، وأتوقف ولولا الثورة في سورية لما بدأت كتابة هذه المذكرات في 25 آذار 2011, لكنه واجب وطني وإنساني فضح المجرمين أينما كانوا وحيثما حلوا.

براء

شيكاغو,6 حزيران 2011

الذكرى السنوية السابعة والعشرين لدخولي سجن تدمر

الاعتقال وفروع التحقيق

الاثنين ٥ اذار ١٩٨٤

استيقظت على عجل فكانت سبع دقائق قبل طلوع الشمس. صليت الصبح ولملمت اللباس العسكري فاليوم مادة التدريب الجامعي . وقفت طويلا امام مكتبتي حائرا

ماذا آخذ معي؟ الراديو الصغير ام معجمي الانكليزي الصغير؟ اخيرا استقر رايي على المعجم الذي يحتوي على ٣٠٠٠ كلمة اساسية في اللغة الانكليزية. شعرت بالرضا عن هذا الاختيار لانه سيكسر رتابة المحاضرات الطويلة المملة.

ماذا آخذ معي لتمضية الوقت في باصين الى الكلية، ساعتان ذهابا وايابا بين حي المزة غرب العاصمة وكلية الهندسة الكهربائية على طريق المطار شرقها؟ حسنا سآخذ مسرحية كليوباترا لاحمد شوقي فهي قطعة ادبية لاتحتاج لتركيز ومناسبة للسفر

ألقيت نظرة سريعة على والدتي. كانت مستلقية نصف نائمة واسرعت خارجا. برودة الصباح رائعة وأنا أعبر أوتوستراد المزة إلى موقف الباص.

كان ذهني منشغلا طوال الطريق الى الجامعة بمخطط دراستي والكتب التي يجب ان ادرسها قبل ان تدركني الامتحانات النهائية



مكان الاعتقال في الكلية: 7:35 صباح 5 أذار 1984

كان المشهد مالوفا وانا اقترب من بوابة الكلية حوالي السابعة والنصف. رتل طويل من الطلاب والطالبات ينتظرون التفتيش الروتيني اليومي. قلت لنفسي مسكين هذا الذي سيعتقل فتلك هي العادة عند وجود رتل طويل ورجال بلباس مدني يحدقون في الداخلين. لم اطق الانتظار فانا متاخر عن جلسة الصباح ولااريد ان اسمع تانيبا فتجاوزت الرتل الطويل واعطيت هويتي للحرس

كان هناك اكثر من رجل بلباس مدني

اخذ الحرس الهوية واضافها الى عدد اخر من البطاقات في يده

هززت راسي متافقا. ظننت ان الوقت تغيير هويات ولايريدوننا ان نحتفظ بالقديمة

مضيت متابعا طريقي لكن عدة خطوات قبل ان اصعد الدرج لمبنى "متاع" اذ برجل خلفي يسالني

براء سراج؟

نعم

نريدك لخمسة دقائق

قلبي صار بين قدمي.

لم؟ من؟ الى اين؟ عشرات الاسئلة, رأسي يكاد ينفجر, وجهي محتقن, ولااستطيع التركيز

اخذت الى غرفة الحرس وكان الطلاب يمرون امامي غير مبالين الا طالبة محجبة التقت عيوننا وكانها ادركت ماانا به

نقلت ساعتي بسرعة من معصمي الايمن الى الايسر فلاحاجة لشبهات تدين اكثر

سالت الرجل ذا اللباس المدني من يطلبني فاجاب مقتضبا لاادري

هل استطيع ان اكلم والدتي؟ الهاتف امامي

اين تظن نفسك؟

مضت الساعات ثقيلة بطيئة ثم بدأ ذلك الرجل يعتذر لي

انا مجند. ان شا الله ستعود الى اهلك ولن تضيع امتحاناتك. بالله لاتواخذني

مو مشكلة. لكن لم أكرر طلبي بمهاتفة والدتي

الحادية عشرة قدمت سيارة بيجو ٥٠٣ فرنسية. اجلسوني في الخلف في المنتصف بين عنصري أمن وفي الامام السائق وعنصر رابع

انطلقت السيارة. يارب لاتاخذني الى فرع الجوية. كان مبنى على الطريق الى القصاع وحراسته لاتسمح للناس بالمشي على رصيفه وكنت أظنه دائما فرع مخابرات جوية.

تجاوزته السيارة فتنفست الصعداء. يارب لاتاخذني الى فرع كفرسوسة. هو مركز امن الدولة غربي دمشق. مضت السيارة شرقا واقتربت من مبنى وسط حي سكني في منطقة العدوي. انه فرع العدوي للتحقيق العسكري. اذن هذا هو الفرع الذي مر به اخي قبل سنة واربعة اشهر



فرع العدوي: لست متأكدا من المبنى تماما

صعدت عدة درجات ثم عبر ممر الى غرفة الى اليمين. رجل يجلس الى مكتب. فتح سجلا كبير الحجم كتب عليه "سجل الموقوفين المدنيين"

اسمك؟ الوالد؟ الوالدة؟ المواليد؟ العمل... اسئلة تكرر علي في كل فرع وسجن وتحقيق ومقابلة في السنوات ال ١٢ التي لاعلم لي لكن احس بثقلها قادمة

في تلك الغرفة اخذ مني كل ممتلكاتي: الكتب، الساعة، المفاتيح، هوية الجامعة و ليرتين ونصف

قيدت الى الخلف بكلابجة معدنية وطمشت عيناي واجلسوني في زاوية قريبة من تلك الغرفة على الأرض وراسي الى الحائط. صوت خطوات لاتتوقف خلفي جعلتني انكمش على نفسي خوف الرفس لكن لم يلمسني احد

لمسني موظف وامرني ان اقف وارفع الطماشة وسالني الاسئلة ذاتها وهو يتامل بي كانه يعرفني..هل هو العميد نزار الحلو؟ إن كان فإنه يشبه اباه الذي قابلته مع والدتي لسنة ونيف خلت للتوسط باطلاق سراح اخي عبد الرحمن الذي سجن لشهر ونصف . لم ار ذلك الرجل فيما بعد

بدات الخطوات تتسارع خلفي مع قعقعة سلاح. اقتادني رجل بغلظة خارج المبنى.. صوت اذان لمسجد قريب.. صوت اطفال فرحين بانصرافهم للتو من المدرسة.. اذن الساعة حوالي ١٢ و عشر دقائق. نظرت من نافذة الطماشة مع انفي، مهارة ساستخدمها مرارا مستقبلا. سيارة بيجو ٥٠٤ ستيشن بيضاء. امرت بالاستلقاء في المقعد الخلفي.

سالت: ممكن اعرف لوين آخديني؟

لجهنم الحمراء، اجاب، صوت شرس. لم اسال بعدها

بقي هاجس الذهاب الى فرع كفرسوسة قائما. مرت السيارة تحت ظل جسر، اذن نحن متجهون خارج المدينة وفعلا بدا ضجيج العاصمة يختفي شيئا فشيئا وذهني لايستطيع التركيز على شيء. من وشى بي؟ عن ماذا؟ بم اعترف؟ لااستطيع التفكير..كنت مداوما على مسجد السلطان من الصف العاشر وأنا ذو 14 سنة من العمر وحتى البكالوريا وأنا ذو 17 سنة. توقفت عن المسجد بسبب قطع التجول في حماة وتدهور الأوضاع الأمنية. همي هو كتبي ودراستي وأسرتي. الكثير من أصدقاء البكالوريا بدأ بالاختفاء مؤخرا وكنت أحس أن أحدهم يتبعني في مشاويري بالشام لكن أطمئن نفسي دائما "ماعلي شي".

سمعت اصواتا مالوفة لي تنادي "حلب..حماة.." انها اصوات محطة انطلاق الباصات من حمص

ان كان هذا صحيحا فعما قليل سامر فوق جسر الرستن بطجاته ال ١٦أو ال ١٧ المميزة لذلك الجسر الطويل قرب سد الرستن. فعلاً كان ذلك فاذن نحن متجهون الى حماة لكن هاجس امن الدولة بقي

"يارب الى الامن العسكري يارب"

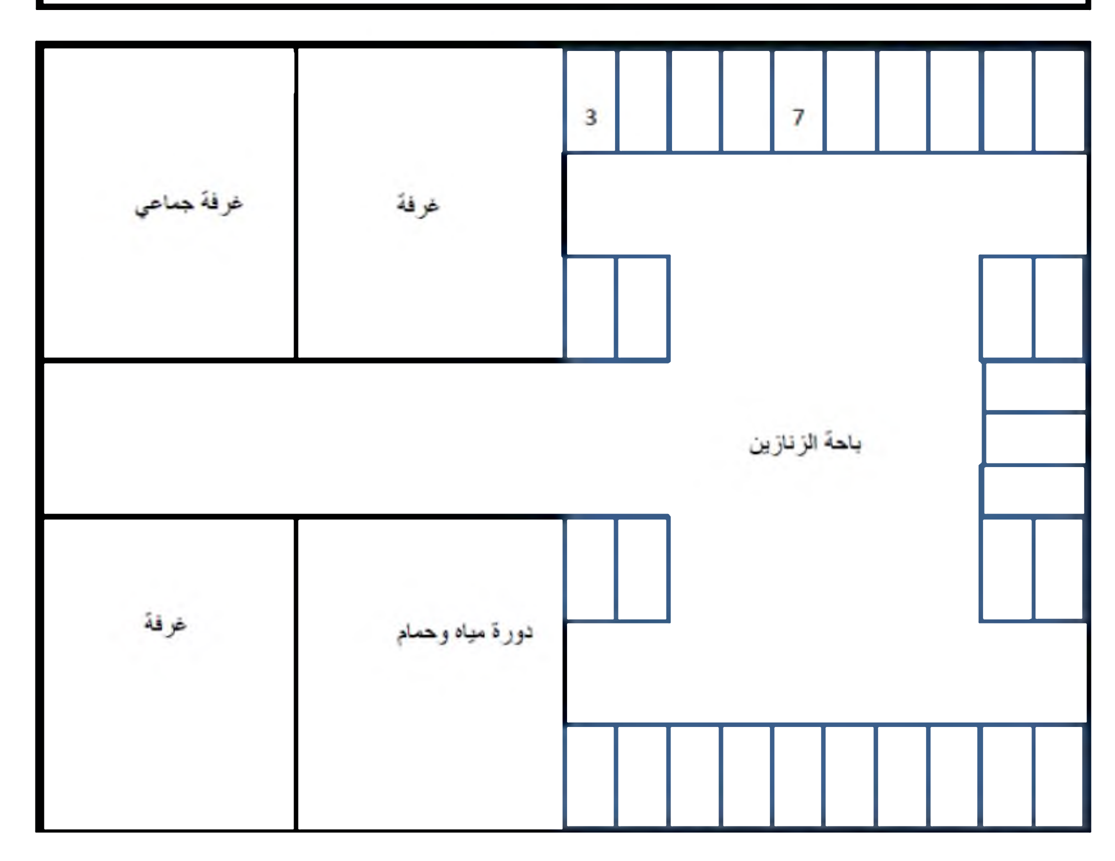
كنت متفائلا طوال سجني اني ان سجنت في الاماكن نفسها التي سجن بها اخي في فرع العدوي بدمشق وفرع التحقيق العسكري بحماة فالنهاية سعيدة باخلاء سبيل سريع.. ايام.. صحيح انها ايام لكن ليست ٤٥ يوما بل اكثر من ٤٠٠٠.. الحمد لله ان اعان بحجب الغيب

تابعت السيارة عدة دقائق ثم قامت بالتحول للاتجاه المعاكس بعيدا عن حماة لبرهة ثم دخلت الى مبنى فرع التحقيق العسكري بامرة العقيد يحيى زيدان احد اعمدة حافظ الاسد لقمع مدينة حماة





فرع حماة العسكري
زنزانة 3: 5 أذار 1984
الجماعي: 22 أذار 1984



درجات كثيرة نزولا الى قبو..اسمك..والدتك...فكوا الكلبشة واخذوا الطماشة واوقفوني وجهي الى حائط في ممر لمدة طويلة..اسمع اصوات توزيع طعام..تهديد بين برهة واخرى الى ان اقتادني سجان الى زنزانة رقم ٣ واغلق الباب.

لااستطيع حتى ان ارى يدي..ارتميت منهكا..متران باقل من متر وفتحة تهوية في السقف تسمح فقط بقبضة يد للمرور. السقف اقل من قامتي ال ١٨٠ سم ارتفاعا

دورة مياة نتنة قرب الباب ورائحة كريهة من العفن والرطوبة

لم يمض وقت طويل الا وفتح الباب وساقني سجان وانا مطمش بعنف عبر باب حديدي ارتطمت قدماي باطاره. دخلت غرفة مضاءة وسمعت موسيقا نشرة اخبار التلفزيون فعرفت انها الان السابعة والنصف مساء..

رائحة غرفة التحقيق عطر وسيكارات وبرتقال مع قشعريرة البرد والخوف لاانساها ابدا

هناك اصوات اكثر من ثلاثة اشخاص

احدهم علمت فيما بعد انه الملازم علي قال ساعطيك ورقا وقلما واكتب كل شيء عن حياتك

اخذني السجان وهو شاب طويل الى باحة مقابل الزنازين وقبل ان اجلس الى الدرج لاكتب صفعني صفعة واحدة افقدتني صوابي..اكتب ياهيك وهيك. كان هناك سجين اخر يكتب بعيدا مني يبدو انه ايضا اعتقل للتو.

ذلك السجان سأسمعه مستقبلا يرنم بصوت لابأس به مقلدا القارئ عبد الباسط **"فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا"!**

كتبت حوالي ثلاثة صفحات ملخصا لحياتي ثم اقتادني السجان الى غرفة التحقيق ثانية

نعم يابراء هذا الذي كتبته ليس بشيء. الافضل ان تعترف

أكرر عليه ماكتبته

ثم عد حوالي ثمانية اسماء اعرف اخر ثلاثة منهم كانوا معي في المسجد عندما كنت في مرحلة الدراسة الثانوية..

نعم اعرفهم.. مجرد اصدقاء مسجد

حسنا يبدو انك بدك تعذبنا..شلحو الجرابات وادخل بالدولاب

كان علي ان اتخذ قرارا عاجلا وانا انزع جراباتي ..

اعترف بمايعرفونه عني في المسجد واوفر على نفسي عذابا قد يؤدي الى ايذاء اناس لاذنب لهم, خاصة أنها كانت مجرد دروس دينية كانت تعقد أحيانا على سدة المسجد وكانت كتبا في السلوك وحفظ قرآن

كان الهاجس الاكبر هو امي واخوتي..قررت ان اعترف سريعا واقصر الخسارة على نفسي

اذن اعد كتابة قصة حياتك..اعدتها مضيفا ايام المسجد

عدت الى الزنزانة وراسي يدور .. اتصور الرعب الذي حل باهلي الان التاسعة ليلا اذ لم اعد الى البيت..ستبدا الرحلة نفسها للبحث عن واسطات لاخراجي

ماأغرب هذه الحياة.. صباحا همي هو امتحانات اخر العام، ومساء أنا في عالم آخر. هل انتهت حياتي هنا؟ هل الى تدمر؟ اعدام ام مؤبد؟

قررت ان اطرد هذه الاسئلة بقراءة ماأحفظ من القرآن وهكذا بدأت بسورة يس الى الزمر ثم الرحمن الى اخر القران..احسست بنشوة عارمة واشرت الى الباب بتحد **"والله لادفعنهم بالقران مدافعة"**

الثلاثاء ٦ آذار ١٩٨٤

اخرجني سجان الى غرفة المساعد صباحا حيث اخذوا صورة لي بكاميرا بولارويد مباشرة ثم اعادني الى الزنزانة

كنت نائما ليلا عندما اقتربت خطوات سجان مع خشخشة مفاتيح وفجاة فتح الباب : يللا ولا

في الطريق نزع من على كتفي إشارات التدريب الجامعي بشدة وكأنني ضابط يجرد من رتبته

جرني مطمشا الى غرفة غير غرفة البارحة وكانت عدة اصوات وكانهم على اهبة احتفال

لم تعترف كفاية ولا يزال لديك ماتخبوّه.. انبطح ارضا وارفع رجليك.. وبدا ضرب مبرح

بدنا منك عشرة أسماء على الأقل تشك أنهم إخوان. يبدأ الضرب. أصعب أمر علي أن آتي بإنسان ظلما إلى هذا الجحيم. ماذا أفعل؟

اعددت نفسي هذه المرة بان بدات اردد بداخلي " استغفر الله، استغفر الله" ولااذكر بعدها ماحصل لي غير اني في الزنزانة وبصداع شديد

الاربعاء ٧ آذار ١٩٨٤

لم يخرجوني للتحقيق هذا اليوم لكني بقيت متاهبا. وجدت علبة بلاستيك للحلاوة فارغة قلبتها وجعلتها وسادتي. كان لها فائدة اخرى وهي انها تكبر الصوت فكنت اسمع خطوات السجان قبل ان يقترب من باب زنزانتي

الخميس ٨ آذار ١٩٨٤

احتفال صاخب ليلا بمناسبة انقلاب الثامن من آذار وغناء يصل عبر مكبرات صوت خارج المبنى. ظننت انهم مشغولون بالاحتفالات فشعرت نوعا ما بالاطمئنان انه لاتحقيق اليوم. كنت مخطئا فقد استيقظت فزعا على صوت الخطوات و خشخشة المفاتيح المرعب. السجان ابو كنان كما عرفت اسمه مستقبلا كالح الوجه وسخ شعث الشعر قصير القامة وبجاكيت جلدي يفتح الباب "اطلع ولا"

بدأت بترديد "استغفر الله" ولاأدري كم مكثت بايديهم ولاأذكر الا انني في الزنزانة وبالم مبرح في الظهر والراس. يبدو انه اغمي علي ولم افتح فمي بشيء

الجمعة ٩ آذار ١٩٨٤

تلك كانت غرفة ثالثة ياخذني السجان لها ليلا للتحقيق. مطمش لكن احس الغرفة واسعة والاضاءة خافتة ورائحة الخوف نفسها عطر وسيكارات وبرتقال

كان التعذيب على اشده هذا اليوم وبعصا خشبية ضخمة

سبب التعذيب الاكبر هو معرفة طفيفة بشاب في المسجد اسمه مؤيد ولايصدقون انني لاأعرف عنه شيئا ويبدو انه ذو اهمية لهم. لم يصدقني انني ان مررت بمؤيد فلااكاد اميزه من آخرين يشبهونه بلحاهم الشقراء الوضيئة!

اعتقد ان ثلاث ساعات مرت على تعذيب مع تدقيق اقوال ثم اخذ باصبعي وبصمها على اخر تقرير من عدة صفحات وانا مطمش ولااعرف شيئا مما اتهمت به

انتهت ايام التحقيق في فرع حماة لكن لم اكن اظن ذلك فبقيت على توجس دائم يرتفع مع اقتراب قرقعة خطوات وخشخشة مفاتيح تكبرها لي علبة الحلاوة الوسادة

كنت امضي الوقت سيرا مع حيطان الزنزانة الضيقة اقرا الاجزاء الخمسة من القران وادعو مع كل اية رحمة باخلاء السبيل ولاانسى الامل الذي تركته في "او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته" من سورة الزمر.

بعد حوالي اسبوعين لاازال لاميز الليل من النهار. صوت شفاط الهواء فوق سقف زنزانتي .لم استطع ان اسيغ ذلك الطعام الذي ياتون به. استطعت ان اميز صوت اذان بعيد فرحت له كثيرا

قعقعة الخطوات وخشخشة المفاتيح واصوات التعذيب لاتتوقف

لازلت اتمنى ان ارى سجناء تدمر لعلهم يملكون الكثير لشرح ما حصل في سورية وحماة خاصة

كنت اقاوم هذه الفكرة الملحة بالدعاء لاخلاء السبيل

الاثنين ١٩ آذار ١٩٨٤

ساقني سجان صباحا وكنت اظنه تحقيقا لكن دخلت غرفة المساعد واذا بثياب وطعام ملقى على سرير.

وقفت مشدوها.."احملها ولا الى زنزانتك"

فور دخولي الى الزنزانة خلعت ثياب التدريب الجامعي التي البسها لاسبوعين ولبست الثياب الجديدة وانا ابكي..اكل وانا ابكي بشكل هستيري..ربما لان الصلة مع اسرتي قد عادت من جديد.. اذن يعرفون اين انا الآن..امل جديد..ربما يستطيعون اخراجي.. تهمتي بسيطة.. لم اوذ احدا ولا حتى عبرت عن راي في حياتي.. كان همي هو التفوق في دراستي..

الخميس ٢٢ آذار ١٩٨٤

عند الصباح ادخلوا الي ضابطا معتقلا حديثا. انس كان يبكي وخائفا. طمأنته لاتخف فطالما ادخلوك الي نحن اصحاب التهم الثقيلة - قلتها متهكما على نفسي- فلابد ان امرك خفيف

نظر الي نظرة عبرت عن امل واه

لم تمض سويعات حتى اخرجوني عند الظهر الى باحة الزنزانات.. الكثير من السجناء والاسماء تقرا والسجانون يصيحون. ساقوني مع كثيرين الى باب حديدي وادخلونا الى غرفة كبيرة جيدة الاضاءة فيها حوالي عشرة سجناء واصبحنا عشرين

خلدون، عمر، محمد، سمير هم من تدمر وقد نقلوا لعدة اشهر الى الفرع لرؤية اهلهم خلال عدة زيارات نتيجة وساطات مالية او معارف مع مسؤولين في الدولة او الجيش

عماد، خلدون، مهند، عمار، سعيد، عصام، باسل، ايمن واخرون طلاب جامعة اعتقلوا حديثا نتيجة وشايات او انضمام سابق لمسجد ما

الخروج الى دورة المياه مرة في اليوم والذي يتاخر اكثر من نصف دقيقة عليه ان يواجه الضرب والاهانة من السجان وكل سجان حسب مزاجه وتعكره

صففنا عدة صناديق خشبية لتكون ساترا في زاوية الغرفة لنتبول بشكل مريح قبل الخروج لدورة المياه او لطوارئ المرض او الاسهال او الامساك او الجنابة! وكنا نحمل تلك الانية المليئة بالبول والغائط لافراغها وقت الخروج اليومي.

ارسل لي اهلي خمس بيضات عندما كنت في الزنزانة وابقيت عليها لايام في المهجع الجماعي..كنت ارى فيها رمزا لعدد افراد الاسرة ان اكلت منها واحدة فلن يلتئم عقد تلك الاسرة ثانية..كان على اصدقائي الجدد ان يقنعوني بلاطائل ان اتخلى عن خرافة لاتليق بمثقف..لم اقبل حتى تعفنت وكان علي ان ارميها وكم انزعجت عندما اختلط بعضها ببيض جديد وكان علي ان اميزها من بعضها لاهميتها النفسية لدي.

لم استسغ تماما حتى لسنوات خمس تلت ان اختلط بالناس..كنت ارى ان هذا السجن لايستطيع ان يخلق صداقة او اخوة حقيقية لمجرد ان اجبرنا على المكث في غرفة واحدة..اسرتي الحقيقية هي اربع اشخاص ينتظرونني بالخارج وعلي ان اعود واي صداقة جديدة هي حائل بيني وبينهم..خمس سنوات تلت لابدا بتغيير قناعتي هذه وان لاتناقض بين العلاقتين وكان تحولا جذريا في طريقة تفكيري فيما بعد.

اجلس طوال اليوم مكاني اقرا ماالحفظه من القران الذي أضفت له سورة ال عمران خلال أيام

اعد الايام كل صباح..بقيت اقوم بذلك حتى تدمر حيث بدأت اعد الاسابيع ثم اقلعت عن تلك العادة..لم اكن اظنها ٤٢٧٦ يوما!

لازال باب المهجع يفتح ليلا لياخذ احدنا الى التحقيق ويعود يرتجف من الكهرباء او متعبا من رحلة في السيارة للتعرف في شوارع المدينة على ملاحق ليعتقل او يقتل

عمر وخلدون ومحمود، كل منهم اتي به من تدمر بواسطة مع رئيس الفرع العقيد يحيى زيدان لاخلاء السبيل..فقط عمر سوف يخلى سبيله لاحقا اما خلدون ومحمود فسيعودان الى تدمر ليخلى سبيلهما بعد سنين. يفتح الباب التاسعة ليلا ويستدعى عمر الى رئيس الفرع. يعود بعد ساعات ممتقع اللون "لااخلاء سبيل..لقد هددني وتوعدني"

عمر اعتقل بعد مجزرة حماة باشهر من قبل مخابرات يحيى زيدان ثم يخلى سبيله. يعتقل ثانية من قبل مخابرات امن الدولة، يعترف على مالم يعترف عليه سابقا لمخابرات يحيى زيدان العسكرية..يحيى زيدان له مخابرات للتجسس على امن الدولة تاتيه باضبارة عمر وفيها اعترافاته الجديدة التي لم يبح بها من قبل..يحيى زيدان يجن جنونه ويستدعي عمر لجلسة التهديد والوعيد..هذه القصة كانت اول شيء يعرفني على نظام المخابرات المتعدد الفروع والمهام والتنافس على اعتقال العدد الاكبر منا نحن طلاب الجامعات والمدارس..اخلي سبيل عمر بعد عدة ايام..

سمعت قصيدة قررت أن أحفظها لإعجابي بها وهي لشاعر دمشقي وتمنيت أن أخرج من السجن لأقصها على والدتي التي كانت شغوفة بالأدب العربي شعره ونثره.

قم سائل الرمل هل أصغى لشكوانا — أم ياترى الرمل لاتعنيه بلوانا

ننام نصحو على أقدام طاغية — يلون الأرض من أشلاء قتلانا

تطاول البغي حتى استل مديته — فارتد عن دمنا سكران نشوانا

ياحادي العيس إن العيس لو عرفت — ماتحت منسمها لم تجر تحنانا

بل لاعتلت في فضاء الكون طائرة — تشكو إلى الله من أبناء حمدانا

كم ذا صبرنا وإن الصبر شيمتنا — كم ذا ابتلينا كأن الهول يهوانا

مساجد الشام ياربياه باكية — وحمص شاكية من هول ماكانا

وطفلة اليتم في الشهباء دمعتها — تفجر الأرض زلزالا وبركانا

أبا الفداء أنلني منك لي خبرا — عن موطن العز عن إخوان مروانا

هم أوقدوها على الإسلام دامية — حمراء لاهبة, هبت سرايانا

فكم شهيد مضى لله مبتسما — والنفس قد ملئت بشرا وإيمانا

ياجنة الخلد قد وافت مواكبنا — والشوق يسبقنا ياطيب لقيانا

جئناك جئناك في شوق وفي طرب — فأين منزلنا والحور تلقانا

رغم المصاب ورغم الهول يغشانا — لانستذل لغير الله مولانا

لان الحديد ومالانت عزائمنا — والقلب ذو ثقة بالله, مالانا

هذي عطاياك يامولاي ياأملي — فسدد الخطو بارك كل مسعانا

الخميس ١٢ نيسان ١٩٨٤

اتت امي لزيارة مع قريبة لها في غرفة المساعد علي ووعدتني ان اخرج من السجن قريبا

خلدون رئيس المهجع مهندس من حماة، شاب مرح وكان يحب ان يمزح. كل يوم تراه يحب ان يخيف الشباب المعتقلين حديثا امثالي. "ياشباب اجا الميكروباص". فيسرع كل منا الى دورة المياه في الزاوية واقفين بطابور ، اخرون يسرعون الى اغراضهم للملمتها..صوت محرك الميكروباص علامة ترحيل وشيكة لدفعة منا الى دمشق ومنها الى تدمر..اي ترحيل الى دمشق يعني ان استطاعة الاسرة في الخارج التدخل لاخلاء سبيل اي موقوف اصبحت ضئيلة ان لم تكن مستحيلة..يبتسم خلدون وهو يعلن ان الانذار كان غير حقيقي..لم استسغ ذلك المزاح المخيف.

كانت فروع المخابرات قبل مجزرة حماة مخولة بإرسال من تشاء إلى سجن تدمر لتصفية الآلاف هناك. أما بعد المجزرة فقد سحب حافظ الأسد هذا التخويل ليبقيه في أيدي الفروع المركزية بالعاصمة إما للتأكد من التهم أو لأن القتل استحر بالناس. بالنسبة للسجين لم يختلف الأمر بل ازداد سوءا إذ التحويل للعاصمة تعني جولة ثانية من التحقيق والتعذيب تجاه المصير نفسه..تدمر.

حاول كثير من الشباب ان يقنعوني ان احلق شعري على الصفر..ارفض بشدة فانا على يقين اني ساخرج من السجن ..قريبا. يقول محمد وهو طالب هندسة كهربائية في جامعة حلب " يا براء، الشعر بضاعة مخلوفة..حلقه لن يمنع اخلاء السبيل وهو افضل في تدمر لان طول الشعر سيضمن الضرب المبرح لايام حتى يتم حلقه"..

الثلاثاء ١٧ نيسان ١٩٨٤

صدق خلدون فقد جاء الميكروباص واختطف معظم شباب المهجع الى دمشق..وافقت على حلق شعري على الصفر..سر محمد بهذا التطور المفاجئ..لم لااخرج ان شا الله وشعري حليق؟!

الاربعاء ٢٥ نيسان ١٩٨٤

والدتي واخي النوام ياتيان لزيارتي في غرفة المساعد ابو احمد، رجل كهل في الخمسين يبدو الطف من غيره..امي تدعو وتبكي والمساعد يجيب "لاداعي لهذا الكلام"..استاء اهلي من رؤية شعري الحليق..جلست صامتا..امي تعد انني ساخرج قريبا

فرع التحقيق العسكري بدمشق
فرع فلسطين أسفل وفرع المنطقة أعلى





فرع التحقيق العسكري بدمشق مهجع 4: 30 نيسان 1984

الاثنين ٣٠ نيسان ١٩٨٤

اسمي يقرا مع حوالي ٢٠ شخصا..الميكروباص بالانتظار..مرة ثانية وثالثة ورابعة، قلبي يسقط بين قدمي..اجد نفسي خارج الغرفة..صوت صفعات تصم الاذان..وجوهنا الى الحائط..يسحبوننا واحدا واحدا الى غرفة الامانات..المساعد يسلمني اغراضي التي اخذت مني وقت الاعتقال..عندما يرى كتاب مسرحية كليوباترا، يرميها في وجهي صائحا "مثقف ياكلب"

اعود الى الممر..وجهي الى الحائط. فجأة ارى صديق مدرستي بجانبي

براء؟ مالذي اتى بك الى هنا؟

السجان ابو كنان يسمع همسنا، ماذا تقولون ولا؟

يسحبني جانبا بصفعة تدير راسي ٣٦٠ درجة..تعرفوا بعضكم ولا؟

لم يكن الوقت يكفي له ليكمل استجوابه فقد اتت الكلبجات كل اثنين سوا الا انا..

في خضم تلك المعمعة اعجبني ان لم اقيد مع احد..احب ان يكون قدري لوحدي

صعدنا الدرج..الميكروباص الذي طال الخوف منه امامي على اهبة الانطلاق الى المجهول

كان عناصر الحراسة يتسلون بنا على طول الطريق..اخفض راسك تحت الشباك ولا..الذي ينسى نفسه يتلقى الضرب بسيخ تنظيف البارودة الروسية

عندما دخلنا دمشق، امرونا ان نجلس بشكل طبيعي وكاننا مسافرون

توقف الميكروباص عند اشارة المرور في منطقة الجسر الابيض

المؤذن ينهي اذان الظهربجملة غير معتادة بعد الأذان: "رب فرج عنا ياكريم"..نشوة غامرة ملاتني..بقية ايام السجن لاازال اذكر هذه اللحظة وانا ابتسم في قرارة نفسي "الله عالم بحالنا" ولابد سيفرج

ينزل الباص باتجاه ساحة الامويين..الساعة تشير الى ١١:٣٥ ظهرا فوق مبنى التلفزيون

يتجه الباص الى اتوستراد المزة ثم يغير اتجاهه صاعدا بجانب الشيراتون فوق الجسر

بقيت انظر باتجاه المنزل آخر الاتوستراد حتى غاب عن عيني..تلك من اصعب اللحظات في سجني..انا على بعد دقائق من المنزل، والدتي واخوتي لايعرفون انني مساق قريبا منهم الى جحيم دنيوي..مأأصعب السجن

يتوقف الباص امام مبنى من اربعة طوابق..ننزل رتلا عبر درج كثير الدرجات الى طابق ثان تحت الارض..حركة دؤوبة وقت توزيع الطعام..تحس انك في اي دائرة حكومية..اوقفونا الوجه الى الحائط ريثما فرغوا من تسجيلنا الواحد تلو الآخر.

دخلت غرفة فيها رجل أشيب الشعر قاسي القسمات..اخذ الامانات..الساعة، المفاتيح، الليرتان ونصف، المعجم، مسرحية كليوباترة، كتب التدريب الجامعي..البست مريولا اسود والتقطت لي صورتان وجهية وجبهية وانا احمل لافتة عليها اسمي..رسميا انا الان في سجل المجرمين..

وضعوا الدفعة كاملة في غرفة وبعد الظهر بدأ حفل استقبالنا..الجميع على الركب والايدي الى اعلى والراس منخفض وكبل حديدي يلسع اكفنا وظهورنا بدون توقف..وحيد ، مجند وحدات خاصة، تلقى النصيب الاوفر من التعذيب نتيجة لباسه العسكري..لاادري كم مر من الوقت، ساعة ساعتان، ثلاث قبل ان يغادر الجلادون

اتوا بالطعام وكنت صائما..اقترب وقت المغرب..حاول الجلادون العودة للتعذيب فلم يفتح الباب..حاولوا عبثا ثم تركونا وشأننا. يبدو ان نوبة السجانين تغيرت..قفز احدهم من شباك الى داخل الغرفة وفتح الباب بسهولة..ساقونا الى ساحة واسعة واعطوا كلا منا ورق واقلام..

اكتب قصة حياتك ولا..

مر حوالي ثلاث ساعات ثقيلة والنقيب يوسف..بلكنة علوية ساخرة مشيرا الى سوطين في يده "هذا الأب" ضاربا احدنا بكبل كهربائي مجدول من اربعة اسلاك، "وهذا الابن" ملوحا بكبل ثنائي مجدول يغرز في اللحم تاركا طبعة متميزة كالحروق لاتزول..لم يتوقف الضرب ونحن على الارض نكتب..يسحبوننا واحدا تلو الآخر الى غرفة جانبية لمحاضرة طويلة عن العمالة والخيانة" قيادتكن غررت فيكن..حوا وابو غدة عايشين بالفنادق وانتو عيشة الكلب مابتلاقوا.."

ربما منتصف الليل عندما ساقوا بعضنا الى الزنازين وكان نصيبي مع الاغلبية الى غرفة مكتظة بالسجناء، انه مهجع رقم اربعة..سقطت نائما من الانهاك ليوم سيبقى من اقسى ايام السجن في ذاكرتي

كنا حوالي ستين شخصا في غرفة واحدة..امر جيد انه هناك مرحاض وحمام منفصلان..الطعام جيد لكن غير كاف..الجلوس للجميع غير ممكن نهارا فعلى قسم من المهجع ان يقف لعدة ساعات ريثما يحين دورك للجلوس..الجو خانق رطب..نعاس دائم..لم اتصور انني سانام وراسي زاوية قائمة مع الجسد..الصلاة ايماء واياك ان تنظر من شراقة (نافذة) الباب لئلا تلتقي عيناك بعيني سجان يطل بين الفينة والاخرى.

مهيب، سجان من زبانية جهنم ضخم القامة اخضر العيون يلبس لباسا عسكريا اخضر. لمح مرة اناسا يصلون واقفين ففتح الباب وانطلق يدوس فوق الناس المستلقية ليصفع ويركل المصلين..

التحقيق لاينقطع ويتبعون الناس بعد التحقيق بالصفعات والركلات..اصوات التعذيب تصل عن بعد وتسمع شخصا واحدا يئن لساعات في الليل او النهار..من الصرخات اصبحنا نميز طريقة التعذيب ان بالكهرباء، او على الكرسي الالماني او معلقا او مشبوحا بالمقلوب على سلم.

استدعيت للتحقيق مرتين خلال فترة خمس الاسابيع في دمشق، الثانية منهما بضرب مبرح

رايت القمل للمرة الاولى في حياتي بعد ان كان نظريا في كتب العلوم الطبيعية وتعلمت كيف اتعقبه..ساحتاج لهذه الخبرة مستقبلا. كان الجرب أيضا في الانتشار فأتوا بمادة لها رائحة الكاز لدهن كامل الجسد وأخذوا كل محتويات المهجع من ثياب وبطانيات للتعقيم بالبخار.

الخروج للتنفس كان كل اسبوعين يوم سبت، ياخذوننا عبر ممرات الى ملعب للتنس في الطابق الثاني..كان الوقع النفسي ثقيلا وانا ارى ابنية كلية الطب حيث يدرس اخوتي على بعد امتار

كان أمرا مؤلما للغاية عندما علمنا أن هناك مهجع للنساء وكانوا يشددون الأوامر علينا كلما ساقوهن إلى التنفس

رجل من إدلب يحول للتحقيق بعد أربع سنوات في سجن تدمر يفاجأ بأبيه ابن الثمانين معتقل حديثا..يتعانقان طويلا..يبكي الأب برقة ورقي: ظنناك ميتا..يجيبه الابن: وماكان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا.

اواخر ايار ارتفع عدد المهجع بقادمين جدد الى تسعين واصبح الوضع لايطاق ثم اخذوا على دفعات

٥ حزيران ١٩٨٤

كنا حوالي ستين سجينا عندما قرؤوا اسماء اربعين كلهم من قرى مدينة ادلب..صوت الصفعات والمعاملة الوحشية تشير انهم مساقون اى سجن تدمر العسكري..بدانا نجهز انفسنا للسوق ايضا..امضينا الليل دون نوم..الخوف باد على الوجوه لكن كل منا يشجع الاخر فبدات انشد مع الجميع

يا تدمر الحمراء في حلل الدم   مهلا فلا عشنا اذا لم ننقم

مهلا سيعلم بعثهم من ذا انا   ولسوف نلطخ وجه حافظ بالدم

وعند الاعادة كنا نضع اسم رفعت بدلا من حافظ

سجن تدمر..باحة ثالثة..مهجع 13

6 حزيران 1984 - 28 تشرين الثاني 1985


Tudmur


سجن تدمر :أرقام الباحات بالأسود وأرقام المهاجع التي مكثت بها بالأحمر
مهجع 13: 6 حزيران 1984
مهجع 15: 28 تشرين الثاني 1985
مهجع 4: 27 آب 1988
مهجع 6 على 2: 28 نيسان 1991
7
4
الذاتية
3
1
6
باحة الإعدام
2
5
15
13
4
©2011 Google

٦ حزيران ١٩٨٤

قبيل الفجر قرنت الاسماء واعطيت الاغراض الشخصية من الساعة والمفاتيح و الكتب وقيدنا معا بالايدي كسلسلة بشرية ووجدت نفسي مطمشا على راس الرتل ربما بسبب الترتيب الابجدي صاعدا درجات كثيرة لاسمع محرك سيارة الشحن والتي يسميها الناس "سيارة اللحمة"

انطلقت السيارة بعيد الفجر، لاتزال السماء داكنة مع بعض الضوء..ارى حرف M الازرق يدور بهدوء فوق فندق الميريديان، ثم صالة الفيحاء الرياضية، ثم بدا البناء يختفي شيئا فشيئا ليحل محله اطلال بيوت صحراوية مهدمة تحت شمس حزيران الصارخة..كنت انظر من النافذة الضيقة بين الطماشة وانفي مع رفع الراس قليلا..الرعب يملأ القلوب وانا اردد طوال الطريق "حسبنا الله ونعم الوكيل" بلا توقف.. خفت سرعة السيارة واحسست بظلال ابنية..انها بلدة تدمر..صوت اولاد..بيع وشراء..الى ان وقفت السيارة تماما..قرقعة البواريد الروسية..اكثر من ساعتين مرت..لم يسمح السجن باستقبال السجناء..ليس لديه علم من دمشق..اخيرا دخلت السيارة ووقفت تماما

لااذكر كيف رمونا خارج السيارة الى الارض ووسط الصفعات والركلات والشتائم اجد نفسي في غرفة ادفن راسي بين ظهور اصدقائي لاتقي الضربات...ساقونا الى باحة الذاتية واجلسونا امام غرفة ..يحين دوري..ادخل..وراء مكتب يجلس ضابط برتبة مساعد ذو ملامح هادئة..سجلني ضمن النزلاء ثم سالني ان كنت ابغي ابقاء هوية الجامعة معي..نعم..عدت الى مكاني والشرطة العسكرية تهدد وتتوعد من وراء شبك حديدي لكن دون ضرب. امرونا باالجلوس على ارض اسمنتية تحت شبابيك مهجع ٢..الارض الاسمنتية تبعث في برودة الظل في صحراء حزيران.

يبدا التفتيش..اخلع ثيابك كاملا الا من الشورت الداخلي ثم عليك ان ترخي الشورت الى الركب "حركتين امان ولا". حركتا الامان هي ان تضع يديك فوق راسك ثم تقعي على ركبتك اليمنى ثم اليسرى..امان من انك لم تخبئ شيئا في الدبر!

يمسك الرقيب بالمعجم ثم يسالني "ما معنى dictionary?"

"معجم"..

لملم اغراضك..يقول ذلك وهو يركل المعجم بقدمه بعيدا.

شاهدت الكتاب يتهاوى بعيدا ببطء وكانها لقطة سينمائية مبطأة ويهوي قلبي وراءه..امضيت سنة وانا اترجم ذلك المعجم انكليزي-انكليزي للغة العربية حتى انهيت ثلثه ثم ياتي جاهل برفسة حافر ليقذفه بعيدا. في غمرة هذه الساعات لايزال الشاغل الاعظم حفل الاستقبال الذي لابد منه لكل دفعة سجناء تطأ بوابة هذا المكان..في حفلة التعذيب هذه يفقد عدد من السجناء حياتهم ويعطب البعض الآخر.

يامروننا بالوقوف مثنى مثنى..كل منا ممسك بظهر الاخر مطأطئ الراس مغمض العينين..عبرنا عتبة الباب الى الباحة الاولى..وهج الشمس الحارقة يعمي الأبصار ونحن خارجون من الظل..الحيطان صفراء والارض مزفتة كشارع..هدوء لايقطعه الا حفيف اقدامنا..نعبر الباب الحديدي الثاني الى الباحة الثالثة وهنا نؤمر ان نقف في منتصف الباحة..لااعلم من اين اتوا بالكرابيج وبضربة رجل واحد سقطت على ظهورنا وتوقفت..اهذا هو الاستقبال..مستحيل، ام اننا محظوظون، او انها دعوة والدتي أو رجل صالح من بيننا..يفتح باب حديدي ثالث واظن انها باحة اخرى، لا، انه مهجع رقم ١٣. ندخل بسرعة ويقفل الباب وراءنا.

المهجع يغص بالناس..انهم الذين كانوا معنا في فرع دمشق..غرفتان صغيرتان بينهما فتحة باب وكل منهما ٤ في ٤ امتار..دورة مياه واحدة لاسقف لها تسمح بروائح الغائط بالانتشار الى ارجاء المهجع المزدحم ب ٥٩ شخصا..الارض اسمنتية والجدران قذرة شبه سوداء..احد جدران الغرفة الداخلية متشقق حتى السقف، ربما بفعل القنابل التي القيت على السجناء خلال تنفيذ المجزرة في ٢٧ حزيران ١٩٨٠، قبل اقل من اربع سنين..ننظر الى وجوه بعضنا البعض غير مصدقين فهذا المكان لقيادات المعارضة وليس لطلاب ثانوي وجامعات مثلنا..ارى كدمات خضراء وسوداء وزرقاء على وجوه وظهور الذين سبقونا بيوم..يطمئنوننا ان لاشيء يستحق الذكر وانه ربما نجونا من حفل الاستقبال، اذ انه من المفروض ان يحصل قبل الدخول الى المهجع لا بعده..بقينا نسال بعضنا هل معقول ذلك. احس بنشوة اننا نجونا حقا..اصوات القاء الدواليب مع بواري الحديد خارج المهجع تقطع الأمل و القلوب..اطلع ولا..صف تنين تنين..اخرج في اول الرتل، تلك ستكون عادتي معظم الأحيان لتسع سنين قادمة..صففنا تحت شبابيك مهجع ١٢ ويبدا حفل الاستقبال..صيحات اصدقائي تلقي الرعب في وتمنيت لو خرجت من المهجع اخرا حتى انتهي من التعذيب اولا..الخوف اشد من التعذيب..

ياتي دوري..انزل بالدولاب ولا..يأمرني شرطي..

لااعرف كيف ادخل بالدولاب..

يلتفت الي من محادثة مع شرطي آخر..لسع مانزلت ياهيك وهيك..

لااعرف كيف وجدت نفسي مطويا داخل الدولاب وقدماي مشدودتان الى بورية حديد ومرصوصة الى البورية بحبل مثبت لعروتي حديد على طرف البورية

شرطيان او ثلاثة ينزلون بالكرابيج كآلة دون كلل او ملل..اصيح ولا من مجيب..

يضعون شحاطة بلاستيك في فمي ..عض عليها ولا..

لاباس بها لتحمل الالم..

علمهجع ولا..تلك ستكون اجمل جملة تطرق آذاننا في هذا المكان..

اركض الى المهجع فاجد اصدقائي يهرولون في مكانهم قفزا..افعل ذلك حتى تستطيع المشي عليهما لانهما ستتورمان..كان ذلك صحيحا فالم الاقدام سيبقى لاسبوعين على الاقل ان لم يتشقق اللحم والا فانها شهران على الاقل

ينتهي استقبال المهجع كاملا فيدخل الرقيب حسين، علوي، وراء اخر شخص..

اسمع ولا، هدا مو شي، نحنا مسموح لنا بقتل ٢٥ بالمية منكم، بس هي لتتعودوا على قساوة السجن..

مين عسكري بينكم ولا؟

ابو ايهم، مساعد في الجيش من قرى ادلب يجيب...حاضر سيدي..

انت رئيس المهجع...قدم الصف ولا

انتبه استاعد، استارح، استاعد.. المهجع جاهز للتفتيش حضرة الرقيب

يغلق الباب ليفتح ثانية..حلاقة..تمت حلاقة الذقن والشعر بواسطة البلديات او البلدية، وهم سجناء قضائيون بتهم غير سياسية..كانت قدماي تنبضان بالالم وانا احاول تثبيت راسي امام الحلاق..تنتهي الحلاقة بسلام..بالكاد عرفت أصدقائي بعد أن حلقوا شعورهم..

تغلق الابواب، اول ليلة في سجن تدمر

الفترة التي دخلت فيها سجن تدمر والتي استمرت حوالي السنة والنصف وانتهت بايلول ١٩٨٤ كانت مرحلة رخاء نسبي يمر بها السجن مقارنة مع فترة اجرامية حافلة بالقتل والتعذيب والاعدامات منذ افتتاح سجن تدمر اثر مجزرة ٢٧ حزيران ١٩٨٠. يفتح الباب صباحاحوالي السابعة لادخال الفطور..يتسابق الشباب لادخاله مع سيل من الكرابيج على الظهور..يفتح الباب ثانية حوالي التاسعة لبدء التنفس..فتحوا كل ابواب المهاجع وكان علينا ان نجلس في الغرفة الخارجية التي فيها باب المهجع وظهورنا للباب..ممنوع النظر للخارج..كان على الكثير منا ممن لم يتاقلم مع السجن او تجاسر فالتقط من قبل الشرطة العسكرية وهو ينظر الى الباحة او يحاول الكلام اشارة مع المهجع المتنفس، ان ينال نصيبه من الصفع او الركل او الكرابيج حسب مزاج الشرطي او الرقيب..مكبر الصوت يصدح بالاغاني طوال فترة التنفس...يتفاءل اصدقائي ان الوضع في السجن افضل بكثير وانه سيتحسن..اننا محظوظون! ياتي دورنا للتنفس..نركض واحدا واحدا لنصطف في رتل رباعي، ثم ياتي الامر بالسير حول الباحة لمدة ثلث الى نصف ساعة..في الباحة رقيب وثلاثة الى خمسة شرطة..الرقيب عادة يامر بسطل يقلبه ليجلس عليه وقد وضع تحته عدة بشاكير..بقية الشرطة تسير ذهابا وايابا تراقبنا..

انتبه، يصيح احد الشرطة. علينا ان نركض بسرعة البرق الى اقرب حائط، كل منا يجب ان يقف الى الحائط، اليدان معقودتان وراء الظهر، ومغمض العينين ولاصقا الانف والجبهة للحائط. كل من ركض بعيدا عن بقية رفاقه، او تاخر في الوصول لحائط، او نسي ان يعقد يديه خلف ظهره او وقف خلف رفاقه ولم يستطع ان يلمس الجدار بانفه، فسيسحب بعيدا لتلقي عدد من الكرابيج والصفعات

والركلات.. اما الذين اسعفهم الحظ بحائط قريب فسوف يتلقون الضربات على مؤخرة الراس لرطم الانف بالحائط..بقي انفي متقيحا مدة طويلة نتيجة الضربات هذه..سماع كلمة انتبه لم يكن احيانا باالامر اليسير، فصوت الاغاني عبر مكبر الصوت او هدير الطائرات من مطار تدمر العسكري المحاذي للسجن كانا مناسبة ممتازة لشرطي سادي يبحث عن عدد من الضحايا "لم ينتبهوا". كانت الشرطة تتلذذ باعطاء امر "انتبه" مع اغنية "صبر ايوب..صبرت عليك يامحبوب" وكأن الاغنية صيغت لتلحن على وقع الكرابيج والصيحات..لم يكن يدور في خلدنا اننا سنتلقى النصيب الاوفر من الضرب فقط لاننا مهجع جديد وكان علينا ان نتحمل هذا الوضع الاستثنائي حتى ياتي مهجع اخر جديد الى السجن ..

علمهجع ولا..واحد واحد.. ندخل المهجع بسرعة..نحمد الله على السلامة ونتفقد بعضنا ونواسي ونشجع من ذاق نصيبا من الضرب..الوقت يقترب من منتصف النهار..علينا ان نجهز انفسنا للتفقد..الخوف باد على الوجوه..

اطلع عالتفقد ولا..نركض فرادى الى منتصف الباحة..يوم حار، صياح الشرطة يرافقه لسع الكرابيج..

قدش عندك ولا

٥٨ او ٥٩ حضرة الرقيب..

هذه الجملة كانت كافية لان تنهال الصفعات على رئيس المهجع ابو ايهم..

قدش عندك ولا

٥٩ حضرة الرقيب..

علمهجع ولا..

انهيار الكرابيج على الرؤوس والظهور لايوصف.٥٩ شخصا يحاول في وقت واحد ان يجتاز درجة مصطبة ثم درجة الباب ليدخل من باب حديدي عرضه ٨٠ سنتمترا والشرطة تقف عند الباب تنهال بالكرابيج..لادري كيف دخلت. اغلق الباب..وجهي احمر مختنق..هل معقول ان نتحمل شيئا مثل هذا؟لم يخطر ببالي ان هذا اول تفقد من اكثر من ثلاثة الاف قادمة مثله واسوا..نتفقد بعضنا..ابو صطوف رجل ذوهيبة من قرى ادلب يبدو ذا مكانة في مجتمعه قارب الثمانين احدى عينيه برجفان دائم لا يستطيع اغلاقها، ابراهيم استاذ مدرسة ابتدائي قصير القامة..كلاهما سحبا من الصف وسيسحبان بين الفينة والاخرى لنيل النصيب من الضرب المبرح..لم يغلق الباب بعد وبعض الاخوة يتراكض لحجز مكان للنوم بعد الظهر في هذا المكان المزدحم..عليك ان تنام في حيز عرضه شبر وعدة اصابع وعليه فالنوم ليلا دوما على الجانب.."سيّف" يعطي التعليمات رئيس المهجع..الاجساد متلاصقة بشكل مزعج ومقابل وجهي اقدام جاري التي كثيرا ما ستوقظني عندما تدخل احداها في انفي او فمي.تنفس ما بعد العصر يبدا حوالي الخامسة وشبيه بالصباح..اثناء ذلك، يدخل العشاء وهو غالبا شوربة عدس أو حمص..حوالي المغرب يطوف الضابط المناوب لتفقد اقفال ابواب المهاجع بهزها عدة مرات ورؤساء المهاجع "يقدمون الصف" صائحين "انتبيه، استاعد..استارح، المهجع جاهز للتفتيش حضرة الرقيب"..وقت النوم هو ربع ساعة قبل السابعة مساء..وقت الليل كان هادئا بالنسبة لنا فالمهجع مسقوف بدون فتحات اما الشبابيك الجانبية فكانت مرتفعة ولايوجد سطح قريب يستطيع الشرطة ان تطل علينا من فوقه..لاستطيع التقلب في مكاني الا في آخر الليل عندما يبدا بعض الاخوة الذهاب الى قيام الليل..تطوع آخرون ان يخلوا مكانا مستورا في زاوية الغرفة الداخلية لغرض الصلاة..

بدأ النظام الداخلي في المهجع ياخذ شكله مع الايام الاولى..رئيس المهجع ابو ايهم، مساعد في الجيش من قرى ادلب. رجل طيب القلب كان على المهجع ان يستبدله بعدة شباب الواحد تلو الاخر نتيجة التعرض اليومي للضرب مع كل فتحة باب.المسؤول الصحي، دكتور ماجد، دمشقي اصله من السلمية قرب حماة. شاب شجاع اكثر من رائع، يتكلم على مهله، دائم الابتسام..ضحى كثيرا بطلب الدواء على الرغم ان كل طلب يحمل مخاطر الضرب معه..لايبالي بالشرطة وكثيرا مالبس سترته وهو خارج الى الباحة اثر استدعاء مفاجئ منهم..مسؤول الطعام يوزع الطعام علينا وقد انتظمنا في مجموعات تاكل سوية، كل مجموعة ١٠ اشخاص..مسؤول الصوت، مهمته ان يبقي الصوت خافتا لتجنب العقوبات..وكانت مهمة صعبة بخاصة مع اناس قد لاتسمع ولاتطيع فكان الحل هو قطع الصوت عن شخص محدد، او مجموعة تتحادث وكثيرا ما كان الامر يتطلب قطع الكلام عن المهجع باكمله..ويبقى صوت المهجع الهامس كخلية نحل..مسؤول الدورة ينظم دخول٥٩ شخصا لدورة مياه واحدة. كانت المهمة ليست بالهينة خصوصا مع شح المياه واختلاف طبائع الناس وطروء امراض تستدعي الاسراع الى دورة المياه..مسؤول الغسيل ينظم ادوار الناس لغسيل الثياب..امير المهجع: نتيجة الضغط النفسي

والجسدي الشديد وانشغاله بفتح الباب المفاجئ وبطروء مشاكل صعبة الحل بين السجناء، تم اقتراح انتخاب رئيس داخلي سمي امير المهجع ويتم تعيينه بالانتخاب ولمدة معينة .

تم انتخابي اميرا للمهجع في اول اقتراع..اول امر قمت به هو انشاء صندوق مالي للمهجع لتلبية حاجات الدواء بشكل رئيس والذي علينا شراءه من طبيب السجن الذي يطوف على المهاجع شهريا لتفقد الاحتياجات الاساسية فقط..الامر الثاني هو حل مشكلة نفسية تبين لنا في بعد انها مشكلة عامة للسجن وليست خاصة بمهجع. هذه المشكلة عرفت فيما بعد ب"التعلق". التعلق هو الحب الشديد بين سجينين غالبا من قبل أحدهما فقط بحيث انهما يكونان دائما سوية نهارا وليلا ويكون احد الطرفين على الاقل صغيرا في السن. كان امرا طارئا على مهجع حديث التشكل مماجعل الناس تخوض في اعراض بعضهم البعض. كان الحل بسيطا وهو اولا نقل مكان النوم لاحدهما والثانية هي ارغام الطرف المتعلق على عدم الجلوس او الكلام مع الطرف الآخر..ادركت ان حكم الناس ليس بالامر السهل وان الحاكم حتى يطاع يجب ان يكون على مسافة واحدة من الجميع. استقلت بعد شهرين ثم تم انتخابي مرة ثانية. كان علي منع التدخين لتجنب مضاره وتوفير المال للاحتياجات الأخرى للمهجع. صمد المدخنون فترة, أرسلوا لي الوساطات وكان أشدهم تأثيرا علي هو أبوصطوف الأكبر سنا في المهجع. جاءني يبكي راجيا السماح بالتدخين: ياابني مضى علي سبعين سنة أدخن ثم تأتي أنت لتمنعني. كنت أحب هذا الرجل وأجله. ثم بدؤوا بالتململ ثم تم حشد الرأي العام العالمي ضدي وأقالوني وانتخبوا الدكتور ماجد عوضا عني حيث قاد حملة انتخابية وعدت بقانونية التدخين والمدخنين. كنت أمر مبتسما وأنا أرى الدكتور جالسا مع حزب المدخنين وهو يدخن تنفيخا لإرضائهم. لقد هزموني.

اول امر بداناه هو حفظ القرآن..تم حصر مالدى الجميع من متفرقات فبلغت ١٣ جزءا وهذا ماأعطى زخما ونشاطا فالكل يحفظ ويحفظ..طريقة الحفظ كانت التلقي بالسماع، مر بي اناس من قرى جبل الزاوية بذاكرة فوتوغرافية، اذا قرأت لهم الصفحة مرة واحدة اعادوها دون خطأ واحد. اما ضعيفو الحفظ فكنا نكتب لهم بضغط الكلمات بابرة الخياطة على ورق القصدير الذي ياتي داخل علب التبغ. تم اختراع وسيلة اخرى للكتابة وهي نقع ورق القصدير بالماء لفصل الورق عن القصدير. يجفف الورق من ناحية ويضغط القصدير بشكل راس قلم يكتب كقلم رصاص.

اما في الخارج فكان التنفس صبحا وعصرا باستثناء يوم الجمعة والتفقد اليومي ظهرا..حلاقة الذقن كل اسبوع وحلاقة الراس بالماكينات الكهربائية الضخمة كل ثلاثة اسابيع..الحمام ايضا كل ثلاثة اسابيع في الحمامات الموجودة في زاوية الباحة الثانية..في داخل المهجع ليلا كان يسود جو من المرح وكانت اللعبة المفضلة هي تقسيم التفاح ببطاقات الهوية وقذفها الى شخص غير متوقع من الجالسين المتحلقين..كانت معنويات السجناء عالية التفاؤل مدعمة بالمنامات اليومية عن مجيء باصات اخلاء السبيل..هذه الباصات التي اتت لكن بعد سنين عجاف

١٠تموز ١٩٨٤

كنا في التنفس صباحا عندما ناداني احد الشرطة: انت الطويل تعا لهون ولا..انبطح وارفع رجليك..أضرب التحية بضرب الارض بقدمي اليمنى ويداي الى الخلف مطاطئ الراس ..بداية الضرب تشعرك بالخدر في رجليك قبل بدء الالم..عشرة كرابيج..اقف..اؤدي التحية..ارجع خطوة للخلف واعود لاخر الصف وانا ممتلئ فرحا..لاادري لماذا انا ممتلئ نشوة وكانني قمت بعمل جبار او ان ضريبة عن الشعب السوري قد انتهيت من تسديدها..او هكذا كان يحلو لبعض اصدقائي ان يبرروا وجودنا في هذا المكان..على كل هذا الشعور بالنشوة بقي يملؤني كل مرة انجو او ننجو بها من يوم ملتهب

الاربعاء ١٨ تموز ١٩٨٤

هذا التفاؤل بقرب إخلاء السبيل بدا يختفي مع شروق الشمس الباهتة لهذا اليوم..

باحة ولا..اسماع الاسماء ولا..اللي عنده اسم يدق على الباب..

قرؤوا ستين اسما على الاقل..اسمع ابوابا تفتح بهدوء..صوت حفيف اقدام السجناء..ثم ركض ابواط الشرطة العسكرية..السرية بكاملها حوالي ٣٠ شرطي..بعد قليل ينزل الضباط لتنفيذ الاعدام: رئيس السجن المقدم بركات العش، الحاكم العسكري الرائد سليمان الخطيب، طبيب السجن وربما ضباط اخرون..يوضع السجناء في غرفة الورشة في زاوية الباحة السادسة ثم يسحبون بمجموعات الى المشانق..

الباحة جاهزة للتنفيذ سيادة ال..

يوضع الحبل حول العنق..يصيح السجين..اخوكم في الله فلان الفلاني، الله اكبر ولله الحمد..يستمر الاعدام حتى قريب وقت العصر..تعود الشرطة بضجيج التراكض نفسه الى الباحة الاولى .. تقرا اسماء اخر، هذه المرة للمحكمة..محكمة؟ هناك محاكم؟ قوانين؟ لم استطع ان استوعب هذه المستجدات..اذن نحن مقبلون على محاكم ؟ متى؟ ماهو جرمي؟ هل اعدام ام ؟هذه التساؤلات كانت تراودني وان كنت بداخلي متفائلا ومتحديا " ان الحكم الا لله" و "هل هن ممسكات رحمته"..كانت المشانق ثم المحكمة على قدم وساق بينمامعظم شباب المهجع قد اخلدوا الى النوم وكانهم اصيبوا بحالة من الخدر الممزوج بالاكتئاب، هذا الاكتئاب الذي تحول الى غضب من البعض في نهاية اليوم، غضب على الاخوان المسلمين ومااَلت اليه الحال في سورية. اتوا الى التفقد بعد العصر في وقت متاخر وهم يصيحون وكانهم تلقوا جرعة همجية نتيجة جرائم القتل التي ارتكبوها طوال اليوم..لكن الحمد لله لاتنفس في يوم الاعدام

اواخر آب ١٩٨٤

استدعى رئيس السجن المقدم بركات العش جميع رؤساء المهاجع الى مكتبه وسالهم عنماينقص السجناء و أبلغهم ان الحمامات الغيت رسميا وانه هناك تفكير بانشاء مكتبة للسجن مع توزيع الجرائد الرسمية..تفاءلنا كثيرا وارتفعت المعنويات..محللونا السياسيون جزموا ان هناك مفاوضات مع الاخوان وان اخلاء السبيل قاب قوسين او ادنى

خلال شهر آب اتاني احد كبار السن وهو راعي غنم من احدى قرى جبل الزاوية وهو معتقل رهينة عن ابنه . كان حوالي السبعين ولكن بهمة الشباب وخفيف الظل حوله هالة من المرح..

مرة التقطه احد الشرطة وهو يحرك شفتيه في التنفس..شو متقول ولا..

عبسبح الله..

لك ماتعرف مافي الله هون ولا.

اتاني ذلك اليوم وقال اريد ان تؤول لي رؤيا..كنت قد اشتهرت بتاويل الرؤيا ووثق الناس بتأويلي بسبب اقتباس مااذكره من كتاب تاويل الاحلام لابن سيرين..كنت ايضا ضد تاويل كل منام على انه اخلاء سبيل كما كان يريد الكثير من السجناء ولان الغريق يتمسك بقشة، فان الكثير كان يحاول عصر مناماته عصرا ليمتص منها ولو بصيص امل..رغم تفاؤلي الدائم فقد كنت ضد التفاؤل الزائد عن حده وكنت اخشى الاصابة بالاحباط كما عاينت ذلك في اول يوم اعدام نشهده..نص بنص، ربما يخلى سبيلنا وربما نموت هنا ولامرجع الا الله، والدعاء والبلاء يعتلجان الى يوم القيامة..كنت ايضا اجيب لااعلم ان لم اعلم، او ان شا الله خير ان كان المنام اضغاث احلام-وهذا حال معظم المنامات-والرائي لايرغب ان يصدق ان رؤياه حديث نفس ولااريد ان اصيبه باكتئاب ولااريد ان اكذب..جاءني ذلك الاخ على غير عادته وقال رايت رؤيا اريدك ان تفسرها لي..رايت ان الجو ماطر واننا نرفع التماسا لهيئة الاركان ان يرأفوا لحالنا..المطر عذاب لقوله تعالى "فامطرنا عليهم مطرا" بينما الغيث رحمة لقوله تعالي "وهو الذي ينزل الغيث من بعد ماقنطوا"..

ان شا الله خير..

لكنني احسست بانقباض مع خوف اننا مقبلون على ايام عصيبة..منذ ذلك اليوم لااقبل الاستماع الى اي منام حتى يؤكد لي صاحبه انه يحس بارتياح تجاهه.

٥ ايلول ١٩٨٤

بدانا نحس بتغير في وضع السجن..يصيحون بنا: انتبه..علمهجع ولا.. ابواب المهاجع تغلق كلما فتح باب السجن الكبير عند ملتقى الباحتين الثالثة والسادسة لادخال سيارة الطعام..

١٩ ايلول ١٩٨٤

كانت دفعة كبيرة حوالي ٦٠ شخصا للاعدام تلا ذلك محكمة لعدد مماثل. اذكر اسمين من الشهداء هزاع كيلاني واياد قندقجي كلاهما من حماة

٢٢ ايلول ١٩٨٤

استدعى رئيس السجن رؤساء المهاجع ليبلغهم التهديد والوعيد. منع ابر الخياطة والفواتير وشراء الطعام الشهري.

انتو مابتنعطو وجه، زمن العشرة كرابيج ولى واي مخالفة مائة او مائتا كرباج فما فوق..

ادنى استدعاء من شرطي يتطلب تحية عسكرية بضرب الارض بشدة بالقدم اليمنى واليدان الى الخلف وخفض الراس واغماض العينين..العيون يجب ان تبقى مغمضة اثناء السير في الباحة! رفع الراس الى اعلى اثناء التفقد.

كان رفع الراس هو اسوأ المستجدات فقد اصبحت رقابنا هدفا سهلا للضرب على الحلق. تحقق منام صديقي خلال شهر. لم نفهم سر هذا التحول بين اللقاءين مع رئيس السجن خلال أقل من شهر

٢٦ ايلول ١٩٨٤

كنا في تنفس العصر وكان الرقيب حسين رئيس النوبة في الباحة..فتح الباب الكبير لادخال سيارة العشاء..صاح الرقيب انتبه. ويبدو ان الرقيب حسين لم يرد ادخالنا السريع الى المهجع.. لم اسمع وكنت على راس الرتل ندور حول اطراف الباحة..يسحبني شرطي..

منبطحا ولا..

تسعين كرباج لانني لم انتبه.

٦ تشرين الاول 1984

كان الجو ماطرا وأصوات الصراخ لاتنقطع طوال الصباح من الباحة الأولى. استقبال شديد لدفعة جديدة من السجناء ادخلوها الى مهجعنا قبيل الظهر عددهم حوالي ٣٠ شخصا. طرفة طالب من دمشق، عبد الحميد تقني من حماه، فارس طالب من حماه ومشلول من التعذيب، حيان عامل من حماه واخرون.. سررنا بالنزلاء الجدد لكن عددنا اصبح حوالي التسعين وكان علينا ان نتناوب في النوم. بعد ثلاثة ايام تم نقلهم جميعا الى مهجع الندوة في الباحة السادسة

١٠ تشرين الاول ١٩٨٤

تمت محاكمة حوالي مائة شخص من حماه كانوا من نزلاء معتقل مدرسة الصناعة اثر مجزرة حماة..لم يجر اعدام هذه المرة

١٥ تشرين الاول ١٩٨٤

بدأت سياسة شدة التعذيب الجديدة تتضح مع هذا اليوم الغائم فقد تغير رئيس السجن وحل محله العقيد غازي الجهنة، حسبما علمنا علوي من قرى حمص وكان ضابط امن الفرقة الاولى، تعرض سابقا لمحاولة اغتيال لذا فهويحمل معه ضغنا خاصا للسجناء سنتبينه فيما بعد عبر السنوات المقبلة. بدا التفتيش العام للسجن بالباحة السابعة ثم السادسة واستغرق عدة ايام حتى وصل الدور الينا. تغير ايضا ضابط امن السجن وحل محله الرقيب اول محمد نعمة، علوي من قرى حماة وذو بحة صوت متميزة.. امرونا باخراج كل اغراضنا بحيث لايبقى شيء وراءنا في المهجع. جاء دوري..عدة شرطة حولي..امد البطانية وابعثر اغراضي فوقها..بدا الشرطة بالمزاح مع بعضهم بصفعي دون توقف..يبدو انه اغمي علي فقد وجدت نفسي ملقى فوق اغراضي وهم يامرونني بالاسراع الى المهجع..يبدو ان رئيس السجن كان حاضرا لتفقد ذلك اليوم فاتت الاوامر بخفض الراس في التفقد..كم كان فرحنا عظيما بذلك..توقفت ايضا تنفسات العصر واصبح ذلك عادة متبعة كل عام بدءا من اواخر تشرين الاول وحتّى اواخر اذار

٢٩ تشرين الاول ١٩٨٤

قرئ اسمي فجأة بعيد العصر..لم اصدق ذلك الا والباب يفتح..

اطلع ولا..

خامرني خوف عظيم ان يكون تحقيقا في تدمر فقد كانت فروع التحقيق ترسل ضباط التحقيق الى تدمر لاجراء تحقيق طارئ وكان السجناء يعودون واثار التعذيب عليهم كما حصل مع اخ من نوى يدعى قاسم خلال الصيف. أخشى ماخشيته وسيبقى هاجسا حتى اخلاء السبيل هو ان يكتشفوا ان عدنان سعد الدين، المراقب العام للاخوان المسلمين هو خالي. اصل الى باحة الذاتية فيقول احدهم للشرطي الذي ساقني من المهجع: هل اتيت باغراضه؟ هنا علمت ان الامر خارج السجن فعدت ادراجي الى المهجع. منظر رفاقي وهم واقفون ووجوهم الى الحائط سيبقى في مخيلتي حزينا كانهم ايتام. اغلق الباب والشرطي يستعجلني اطلع بسرعة ولا. ماإن علم الناس اني منقول حتى اسرعوا الي كل يرجوني ان اتصل باهله ظانين انه اخلاء سبيل.

يسالني الشرطي: وين غراضك ولا.

اجيب: لم يكن عندي غيرها عندما اعتقلت.

تزعجه كلمة "اعتقلت" فيقول توقفت ولا، وكأن كلمة اعتقال تفيد الظلم بينما التوقيف تفيد العدالة!

اكابج واطمش واوضع في المقعد الخلفي لسيارة المخابرات المفضلة بيجو ٥٠٤ ستيشن.توقفت السيارة بجانب احد بساتين النخيل. اسمع صوت احدهم يرحب بالمخابرات ويعطيهم حملا من الرطب..تتوقف السيارة بجانب الطريق ويبدا اطلاق الرصاص لصيد العصافير! لم تمض لحظات حتى تعالت السباب والشتائم من رئيس الدورية واسمع احد عناصره يعتذر باسهاب: ماكان قصدي. الكل عالسيارة. سبب الشتائم ان احد العناصر المرافقة وهو يحاول صيد الطيور، وجه بندقيته تجاه رئيس الدورية فانتهى الامر بايقاف رحلة الصيد. رئيس الدورية الآن بمزاج سيء وعلي ان ادفع الثمن.

ضرطت ولا..شو هالريحة..

ليست مني.

يضربني بسيخ تنظيف البارودة الروسية.

غني ولا..شو حافظ اغاني ولا..

لاشيء..

ليش ولا..

لايوجد اذاعة بالسجن-توقفت اذاعة الاخبار والاغاني مع مجيء الادارة الجديدة للسجن-

اما ان تغني او اجعل السيخ يغني في كذا وكذا ياهيك وهيك..

حقيقة لااحفظ اي اغنية.

غنيلنا صبر ايوب..

لااعرفها..

حسنا اعطيك الكلمات وانت تغني.

بدات اعيد وراءه بصوت باهت..

سد حلقك ولا.. يقطع عمرك..

يبدو اني صديتللو نفسو..لم يزعجني بعدها، الا انهم امروني بالجلوس ورقبتي زاوية قائمة مع صدري ..بقيت على هذه الحال حتى دخولي الزنزانة وكان علي أن أقوم رقبتي بيدي. مازال هاجسي الى اين؟ يارب لاتاخذني الى الشام ثانية. ان كانت الشمس الى يميني وهي تغرب فنحن نسير جنوبا الى دمشق. بقيت السيارة تتجه نحو الشمس غربا الى حمص. بدا يحل الظلام واستطيع ان المح خيم

العرب بين الفينة والاخرى مع النار الموقدة امامها. وصلنا حمص مع اذان العشاء. اسمع قول الموذن "حي على خير العمل"، هل هناك شيعة في سوريا؟ تفتح ابواب السيارة والمح طفلة تاتي الى باب السيارة لتنظر الي متسائلة ..تلحقها امراة لتاخذها بعيدا..يبدو انهم اقرباء احدهم فقد اخذوا البلح..تكمل السيارة الى فرع حماة العسكري حيث كنت اول العام، ويبقى الهاجس تحقيق ام زيارة! تم وضعي في زنزانة رقم ٧ لمدة اسبوع..فيها رسم ضرس حفر بعناية او بيد فنان مع اشارة سهم يحدد اتجاه القبلة. علمت مستقبلا ان ياسر المعلم، طالب طب اسنان من حماة كان هنا واعدم لاحقا رحمه الله

الاثنين ٥ تشرين الثاني ١٩٨٤

نقلوني الى المهجع الجماعي نفسه الذي كنت فيه ايضا اول العام. كنا حوالي ١٥: علي، محمد، امجد سجناء من تدمر نقلوا موقتا الى هنا بغرض الزيارة. ٥ اشخاص كبار السن اعتقلوا حديثا بتهمة تنظيم اخوان في اوائل السبعينات! من بينهم الحاج بديع، صديق قديم للعائلة: والدتك تبحث عنك من زمن، ان اخلى الله سبيلي هذه المرة فلن ابقى في سورية، يقول لي الحج بديع. كان هذا الرجل انيسا ومهابا على وجهه الوضيء سمات الصلاح. اخلي سبيله مع رفاقه المسنين في وقت متاخر من ليلة ١٠ كانون الاول بعيد شهر تقريبا. البقية شباب ١٤ و ١٥ سنة احدهم يدخل المهجع معتقلا حديثا ليجد اخاه المعتقل لسنوات..كان لقاء باكيا..حول هؤلاء الشباب بعد الى دمشق وانقطعت اخبارهم.

الثلاثاء ٦ تشرين الثاني ١٩٨٤

اتت والدتي واخي عبد الرحمن في اول زيارة لي منذ سبعة اشهر.. كانت الزيارة هذه المرة في غرفة الملازم علي وبوجوده.

وانا اصعد الدرجات، قال لي السجان المرافق بلهجة لئيمة تتصنع اللطف وبلهجة علوية: بتحب تشوف اهلك..ماتشوف اهلك".

اجبت نعم ان شا الله.

بتقول ان شا الله ولا انا بفرجيك بس تخلص ياهيك وهيك..

لاادري لم اقحمت كلمة ان شا الله في سياقي!

فغرت امي فمها عندما علمت اني في تدمر. لم؟ تهمة تنظيم! تعض على اسنانها موبخة وكانها تقول لي "كم قلت لك لاتذهب الى المسجد". اما انا فقد تغيرت..لم اعد ابكي..علمتني تدمر ان لاابكي امام هؤلاء الاوباش..نحن رجال الآن وعلينا ان نواجه قدرنا بشجاعة وحزم. كيف بتغسل ثيابك؟ هل تلعب رياضة؟ اسئلة كثيرة من ام تحاول ان تطمئنني انني لابد خارج من السجن وللتو..كان علي ان ابذل جهدي لاقناعها ان لاخروج بدون محاكمة قد تستغرق سنوات لتعقد..اتيت لك بكذا وكذا..لاتحزن..سوف نخرجك قريبا.اعود الى المهجع وكانني في منام..نعم انا معتقل..لااستطيع ان ارافق اهلي الى البيت..ضاعت علي سنة جامعية كاملة..ساكره منذ الان رائحة الثياب المعطرة والطعام المعد بعناية للتخفيف عن السجين..لم آكل..جلست ارقب اصدقائي ياكلون بنهم وسرور..لااستطيع ان اكل..علي ان اخرج من هذا السجن..كيف؟ بدات اقرا الفاتحة وانفخها على باب المهجع الحديدي الصدئ..اشعر اني في سباق مع الزمن..يجب ان افتح الباب بقوة سورة الفاتحة متيمنا باسمها قبل ان يغرزوا الكلبجات المصنوعة في اسبانيا "Made in Spain" في يدي الى تدمر..يالها من مفارقة، لم استوردت من اسبانيا صاحبة محاكم التفتيش وليس من اي بلد آخر؟

اتت والدتي بعد اسبوع في ١٣ ثم ٢٧ تشرين الثاني ثم ١٢ كانون الاول..

لم لا تزورونني كل اسبوع؟

لانستطيع فقد بعنا منزلنا في حماة؟

لم؟ احسست بحزن عميق وكأن صلتي بحماة مدينة طفولتي قد انقطعت.

الأن علمت لم تغير الوضع في تدمر بل وفي كل سجون سورية فقد تمت عملية هروب سجناء من جماعة الطليعة من فرع المنطقة بدمشق ثالث ايام عيد الاضحى في ٥ ايلول. تغير الوضع عما كان عليه قبلا. اصبحت المضايقات اكثر من قبل السجانين خاصة عند الخروج لدورة المياه. ينتقون من المعتقلين الجدد من يضربونه بالشحاطة على الوجه او بعصي الخشب الغليظة على الايدي.

مصطفى احد السجناء من حماة من طلاب المساجد، عظم الرسغين قد بدا نتيجة تعليقه من يديه بالكلبجات الحديدية لايام. احد السجناء رجل محترم بلباس السفر الانيقة يجر حقائب سفره من امام المهجع ونحن ننظر من ثقب بالباب، يبدو انه اعتقل على الحدود.القمل يغزو ثيابنا غزوا فكان لابد من "التفلاية" اليومية لجميع الثياب. اصبحت "وزير القمل" لقدرتي على ملاحقة القمل بين ثنايا الثياب بخاصة الداخلية. احد السجناء اتانا للتو من الزنازين يسلمني ثيابه لتفليتها. اكتشف ثلاثمائة قملة في ثيابه الداخلية. وكان لابد عند اي شعور ولو مزيف بالقرص ان نخلع ذلك الثوب المشبوه لفحصه..قضينا عليه اخيرا..مرة فتح مساعد السجن الباب وامرنا بالوقوف طويلا ووجوهنا الى الحائط. نسمع صوت امراة وراءنا تترجاه بامه واخته وعرضه الا يلمسها وهو يكلمها بصوت مخنث ثم يلتفت الينا بالسباب والشتائم. لاانسى هذا اليوم وقهر الرجال الذي لايستطيعون نجدة هذه المراة وانقاذها من ايدي هؤلاء ..ساد الصمت طويلا بعدما اغلق الباب.

كان علي ان احفظ من القران مااستطيع قبل ان تتم العودة الى تدمر فحفظت خمسة اجزاء تلقيا من محمد وامجد.

١٢ و ١٣ كانون الاول ١٩٨٤

تزورني والدتي واخي في يومين متتاليين مع وعود باخلاء السبيل. تلك ستكون المرة الاخيرة التي سارى فيها اهلي حتى لقائهم ثانية بعد اثني عشر عاما.

٣٠ كانون الاول ١٩٨٤

وصلت الى قوله تعالى من سورة آل عمران "الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله" عندما فتح الباب..

براء سراج ضب غراضك.

سرى الخوف في وانا الملم ثيابي واسرع الى سيارة المخابرات . تشق السيارة طريقها الى تدمر في يوم بارد..لم يزعجني احد..انصت الى محادثات عناصر المخابرات مع بعضهم البعض بلكنة علوية واضحة:

الله يخرب بيته

مين؟ حبوش؟

لك هدا سني؟

لك لا شو سني، من اسمه مبين

الله لايعطيه العافية..باع امه

لك شو باع امه..لاتقول هيك..جوزها

بدنا الحكي باعها واخد المصاري

ادخل تدمر قبيل الظهر..الحيطان صفراء باهته..البس بدلة حمراء..يسخر مني الشرطة يقول احدهم للاخر: شكله مجنون..روح علمهجع ولا..بتعرف تلاقي مهجعك ولا. تفاجأت بانه بني مهجع في وسط الباحة الثالثة خلال شهري غيبتي..ركضت تجاه باب المهجع ١٣ مباشرة وهم يزدادون ضحكا مني. لم استطع التاقلم بسرعة مع حياة المهجع الجديدة فقد بدات اشعر بمقت اكبر تجاه رائحة الطعام والصيحات والكرابيج، مقت لهذه اللاانسانية ، مقت للكنة العلوية واصوات فتح الابواب واغلاقها. على كل، اجزاء القران الخمسة كانت مبعث سرور عارم وابقت المهجع مشغولا بالحفظ والتحفيظ لشهور تلت.

٢٠ تشرين الثاني 1984

اخبرني شباب المهجع انه تم اعدام ١٠ اشخاص في هذا التاريخ

١٠ كانون الثاني ١٩٨٥

كان الوقت ليلا عندما سمعنا دقا شديدا على باب الزنزانة الانفرادية (السيلون) في زاوية الباحة الثالثة جانب مهجع ١٦. يتجمع عدد من الشرطة على الباب ومان فتحوه حتى ركض السجين الى الباحة. تتعالى الصيحات ونسمع تلقيم البواريد على الاسطحة. اصدر الرقيب نعمان امره الى شرطي فوق مهجعنا باطلاق النار..تتتابع الطلقات..ننبطح ارضا ظنا منا انهم سيقتلوننا جميعا.. ثم يسود الهدوء..استشهد الطالب من بانياس محمد العمر، كان في مهجع ٣٣ عندما تدهورت حالته النفسية فنقل الى زنزانة باحتنا حيث استشهد..كانت الباحة في اليوم التالي كئيبة قاتمة..جريمة قتل بدم بارد.

كانت المياه شحيحة في المهجع واي شكوى عن قلة المياه كانت تعرضنا وتعرض رئيس المهجع للضرب المبرح فقررنا في احدى ليالي كانون الثاني ان نقيم صلاة استسقاء لعل الله يغيثنا..في اليوم التالي، نسمع صوت مواسير المياه تقرقع امام المهجع. نقلونا الى المهجع المبني حديثا حيث مكثنا طوال اليوم ثم عدنا وقد اصبحت المياه غزيرة..لم نطلب منهم ذلك ابدا!

مع دخول شهر شباط، بدات مظاهرات التاييد الاجبارية تعم السجن. اخرجونا الى الباحة وامرونا بالصياح تاييدا "للسيد الرئيس" بمناسبة اعادة انتخابه. رئيس المهجع يصيح: بتحبو مين فنجيبه: حافظ. كان صوتنا خافتا فاشار الينا رئيس المهجع خالد: حافظ مشيرا الى السماء. ياشباب الله هو الحافظ فقولوها بملء افواهكم. اعجبتنا الفكرة وسرت الشرطة!

١٩ شباط ١٩٨٥: محكمة دون اعدام

٢٢ شباط ١٩٨٥

كان يوما قارس البرودة والثلج يهطل. اصوات التعذيب في التنفس تملؤنا خوفا وهلعا. بقينا ننتظر طوال الصباح لياتي دورنا. انتظار التعذيب اشد وقعا من التعذيب نفسه. اخرجوا مهجع ١٢ المحاذي لنا وصفوه بهيئة التفقد اربعة اربعة امامنا بجانب حائط مهجع "جديد جديد". كنت انظر من شق الباب، الثلج يهطل، الشباب حفاة ترتجف من البرد..وجوه وضيئة بانتظار بدء التعذيب. بقي مهجع ١٢ واقفا هكذا دون ان يلمسه احد ثم امروهم بالعودة الى غرفتهم. جاء دورنا فبدانا نقرا ماتيسر من القران على القفل الا يفتح. نقرا وننفخ. تتجمع الشرطة امام الباب: جهز حالك عالتنفس ولا. لم يفتح القفل، يحاول مفتاحا اخر واخر ونسمع صوت السباب والشتائم. لم يفتح الباب ونجونا ذلك اليوم. اتوا الى التفقد بعد نصف ساعة وفتح الباب كالعادة!

١٠ آذار ١٩٨٥اخرجونا الى الباحة لنقوم بعراضة على الاكتاف للاحتفال ثانية بانتخاب الرئيس

١٩ آذار ١٩٨٥ محكمة دون اعدام

22 آذار 1985

تعذيب شديد للسجن. لم ننج هذه المرة. هذه ستكون العادة اذن بتعذيب السجن اثر كل محكمة او اعدام

١٥ نيسان ١٩٨٥

كان تنفس العصر عندما سحبوا احدنا وهو ابراهيم (استاذ ابتدائي) من ادلب. جلدوه بالكرابيج على ظهره العاري طويلا حتى بدا لحمه. لم يندمل ظهره الا بعد شهرين وترك اثارا كمن تعرض لحروق

٤ ايار ١٩٨٥

بسبب اعادة انتخاب الرئيس وبسبب توقف الاعدامات لاكثر من ستة اشهر، ساد تفاؤل بين الناس ان الاعدامات الغيت. تبدد ذلك التفاؤل اليوم وكان منتصف شعبان. قرئ حوالي ثلاثين اسما للاعدام واخرج اثنان من مهجع ١٢ هما عامر نشتر من حماة واسامة الجعك. تلا ذلك اعدامان في ١١ و ١٣ ايار في كل منهما اعدم حوالي عشرة اشخاص

خلال هذا الشهر بدات ادارة السجن بتركيب مراوح في كل مهجع لمعالجة ازمة الاختناقات من الحر والازدحام. كان مشغل المروحة خارج المهجع بجانب الباب وكان علينا ان نطرق الباب ونتعرض للعقوبات المتتالية لمجرد طلب تشغيل المروحة! كانت المراوح احدى

مؤشرات التفاؤل لدهاقنة السياسة المخضرمين في المهجع. نتائج التحليل متطابقة دائما "مفاوضات ياشباب" ثم يضمحل التحليل المتفائل مع اول حفلة تعذيب فتتبخر الاحلام في الهواء

٤ تموز ١٩٨٥

تم اعدام حولي ثلاثين شخصا منهم الاخ ماهر طبة من حماة وهو رئيس مهجع ١٤. كان قد عاد قبل ليلة من زيارة اهله في فرع حماة.

٦ تموز ١٩٨٥

تم اعدام حوالي خمسين شخصا منهم الطبيب عبد الرزاق شحود خلوف الجيجاوي. ملاحق منذ ١٩٧٨ ومتهم بشنق الخبراء الروس ومسؤول القطاع الشمالي لمدينة حماة في احداث ١٩٨٢. قيل انه هو الذي انجد قاعدة القيادة في حي البارودية عندما حوصرت ليلة الثاني من شباط. يتذكر قائلا "كنا جالسين للعشاء شمال المدينة ناكل البيض المقلي عندما سمعت النداء على اللاسلكي "من صفر الى خمسين، باللباس الميداني الكامل, الله أكبر ولله الحمد" عرفت ان حماة راحت". اعتقل جريحا ونقل بالهليوكوبتر لاسعافه ثم للتحقيق معه. قالوا له تتعامل معنا فاجاب انا بتعامل مع خونة! بقي اسمه يقرا في الباحات وعلى ابواب المهاجع مطلوبا للتحقيق ثلاث سنوات بعد اعدامه! هل يعني ذلك ان فروع المخابرات لاتعرف ان السجين الذي اعتقلته قد اعدم!

كان السجناء يصنعون المسابح من خيطان البطانيات بجعلها عقدا او بحف عجو الزيتون على ارض المهجع. قاومت تلك الفكرة طويلا حتى دخل هذا الشهر فبدات بصناعة مسبحة متميزة من حب الزيتون على شكل مكعبات كحجر النرد وكنت اصنع حبة كل يوم بعناية واتقان. كنت آمل ان اهديها لامي عند اخلاء سبيلي. اصبحت هذه المسبحة عبءا علي اذ علي ان اخفيها بسرعة في مكان مطاط الشورت الداخلي عند احتمال اي تفتيش مفاجئ. استطعت الاحتفاظ بها لثلاث سنوات حتى كان يوم تفتيش مفاجئ في نيسان ١٩٨٨ في مهجع ١٥ فرميت بها في حاوية ماء نسميها "بدون" تسع ٢٠ لترا وضاعت بعدها. اكتشفت بعدها ان احد اصدقائي وليد من حلب استولى عليها ذكرى مني. اعدم وليد في ١٩٩٠

٨ آب ١٩٨٥

استقبال لدفعة جديدة من السجناء حوالي خمسين لم اسمع بمثله من قبل..على الاقل الف كرباج لكل سجين. كانوا يلبسون البدلات العسكرية عندما ادخلوهم الى مهجع جديد جديد امامنا. ظنناهم مجندين في الجيش. التقيناهم مستقبلا عندما فرقوا على المهاجع فكانوا شباب جماعة الطليعة الذي استدرجوا على الحدود التركية الى المعتقلات في سورية وكانوا حوالي السبعين شخصا

طوال شهر ايلول بدات مرحلة سقف باحات السجن بالاسلاك الشائكة. انقطعت التنفسات طوال هذا الشهر وكنا نلتقط مانستطيع اثناء التفقد من الاسلاك المعدنية لصناعة ابر الخياطة ببردها على ارض المهجع الاسمنتية.

مع دخول شهر تشرين الاول، بدا فرز السجناء حسب الاحكام واستمرت هذه العملية في تغيير تركيب المهاجع حتى منتصف ١٩٨٦.

كان يوما عاديا من ايام تشرين الثاني عندما فتح الباب لادخال الطعام وكان ضرب الكرابيج كثيفا على الشباب فهرب احدنا عبد الغني ، وكان اصغرنا ابن ١٦ سنة من حماة، الى داخل المهجع. يلاحظه شرطي فيطلبه الى الخارج فيرفض فتتجمع الشرطة على مهجعنا وينهالون عليه بالضرب المبرح. اصبح هدفا للضرب المبرح كل فتحة باب يوميا حتى خشينا على حياته. خرج احدنا بفكرة عظيمة وهو ان نصنع له مكياجا بحرق مطاط من شورت لباس داخلي (كان التبغ لايزال مسموحا مع قداحة للمهجع) وعجنه بسمنة الطعام ثم دهن وجهه خاصة تحت عينيه بهالة سوداء. فتح الباب وطلب عبد الغني فاخرجناه بهذه الصورة مستندا على اكتاف اثنين منا. ماان راه الشرطة حتى امروا به الى المهجع..كان فرحنا لايوصف ان انقذناه من ذلك اليوم

سجن تدمر..باحة ثالثة..مهجع 15

28 تشرين الثاني 1985 – 27 آب 1988



٢٨ تشرين الثاني ١٩٨٥

دق الباب فجأة عند الصباح: مهجع ولا، الكل يضب غراضه.

ياشباب فرط مهجع.

تراكض الجميع الى ثيابهم وحاجياتهم. فجاة اجد قاسم يقف امامي: براء ممكن تعطيني جلابيتك، اريدها ذكرى منك. كان موقفا محرجا فهذه القطعة من الثياب جابتها امي في الزيارة وخاطتها بيدها من قماش بني داكن ثمين. ليس لدي الكثير من الثياب فقد وزعت معظم ثيابي اثر عودتي من الزيارة على من لاثياب له. بدون تردد او ندم اعطيته اياها. لم ارد ان اودع احدا فصليت ركعتين ودعوت "رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين". كان البعض منا يبكي على فراق احبته. علي ان اعترف مستقبلا ان اصعب لحظات عمري كانت لحظات فراق: الاعتقال، فرط المهجع، الاعدام واخلاء السبيل. لازلت حديث عهد بسجن واعتزالي الناس من حولي كان عامل قوة وحماية تجاه متغيرات السجن. خرجنا الى الباحة فاذا بالرقيب اول يقول ببحة صوته المتميزة: وين غراض المهجع ولا..لك شو ظانين حالكن طالعين اخلاء سبيل. تفرق المهجع على مهاجع السجن وكان نصيبي مع اربعة من اصدقائي الى المهجع ١٥. كنت فرحا بهذا الفرط المفاجئ لعدة اسباب. اصبح مهجعنا قديما وبدات تطفو الى السطح خلافات بين السجناء منها مايتعلق بالاعترافات المرافقة للتحقيقات ومنا مايتعلق بالخلاف الديني التقليدي الصوفي السلفي وان لم يكن بالحدة التي ساراها مستقبلا. انهينا حفظ ماتواجد في الصدور وكانت رغبة عامة الى الله ان يفرط المهجع ونختم القران. كنت ارغب حتى ان لا اخرج من السجن قبل ختم القران. كان فرحي اعظم عندما دخلت مهجع ١٥ لاجد وسط المهجع الشيخ هاشم، احد علماء دمشق. كنت قد سمعت به وبشخص آخر عندما كنت في جماعي حماة اول اعتقالي فدعوت الله وقتها ان قدر لي تدمر ان القى احدهما. هو الان امامي بعد اقل من سنتين!

كانت سنة ١٩٨٥ قاسية حتى ايار واذكر انني كنت اردد دائما "عسى الله ان يكف باس الذين كفروا" ثم سهلة نسبيا حتى تموز ثم هادئة نسبيا بسبب التشبيك وفرز السجناء حتى نهاية العام. الضرب يبقى امر يومي لابد منه خاصة عند التفقد. فطالما انه ليس هناك كسور او ظهور اللحم، فالوضع هادئ! كلما خرجت إلى الباحة وخاصة للتفقد كنت أقرأ "رب أعوذ بك من همزات الشياطين, وأعوذ بك رب أن يحضرون" وأصبحت عادتي طوال سني تدمر. كان الطعام قليلا وكانوا يأتوننا باكياس من البصل ناكله مع الملح الذي انقطع بدوره لسنوات واصبح ضمن قائمة العملة الصعبة. اشرس رقيبين مرا علينا هذا العام هما مصطفى الطير وسهيل العجوز (علويون) وهم من القلة الذين عرفنا أسماءهم من جلادي السجن.

دخلنا مهجع ١٥ وعرفنا على انفسنا "اخوكم في الله براء سراج..من حماة..سحب ١٩٨٤" وكان علينا ان نستكشف المهجع المؤلف من تسعين شخصا. كان هم المهجع ان لانكون مخبرين! عندما اطمأنوا لتحرياتهم اصبح اندماجنا سهلا وزال الحذر منا سريعا، لكن بقيت التساؤلات عن بعضنا البعض من اشخاص فضوليين ولزيادة الاطمئنان. هذا المهجع غرفة واحدة حوالي ١٠ ب ٤ امتار وله دورتا مياه. خمسة شبابيك ضيقة مطلة على الباحة واعلى من مستوى القامة. المهجع ككل المهاجع مستقبلا خليط من كل انحاء سورية: دمشق وحلب وحمص وحماة وادلب ودرعا واللاذقية ودير الزور و جسر الشغور والتل. تجمع الناس عند المساء حول الشيخ وبدا انشاد بصوت جميل لم اميزه من صوت المنشد ابي دجانة. انه نهاد البوشي من حلب مواليد ١٩٦٤ من جماعة الطليعة. سيكون صديقي المقرب فيما بعد وسيترك في اثرا لايمحى.نهاد البوشي، محمد غزال (مواليد ١٩٦٢)، فهد نعال (مواليد ١٩٦٥)، محمود خوجة (مواليد ١٩٦٢) وعبد المنعم زلط (مواليد ١٩٦٠) كلهم من حلب، عبد الباقي الصالح (مواليد ١٩٥٨) من دير الزور، مصطفى زلخي (مواليد ١٩٥٠) واحمد بكر جان (مواليد ١٩٥٦) كلاهما من جسر الشغور. هولاء قسم من شباب الطليعة الذين تعرفت اليهم هنا والذين تلقوا الالف كرباج في الاستقبال وبالملابس العسكرية

٤ كانون الاول ١٩٨٥

اعدام خمسة اشخاص منهم واحد من مهجعنا من منطقة الجزيرة شرق سوريا بتهمة بعث عراقي (يمين). لم يتح لي الوقت للتعرف اليه

٢٠ كانون الاول ١٩٨٥

اثناء التفقد يخرج احد السجناء، محمد، من اللاذقية مواليد ١٩٦٥ الى الشرطة ويزعم لهم ان عندنا دروس دينية وتنظيمات وتدريب جودو وكاراتيه في داخل المهجع. هذا الشخص اعتقل صغير السن ومصاب بنوبات صرع نتيجة ضربه على الراس وهو نائم باخمص البارودة وقت اعتقاله. عندما يصاب بنوبات الصرع كان يختنق بلسانه ويضرب راسه بالحائط ثم يغيب عن الوعي ريثما يتداركه المسؤول الصحي بالدواء. عند المساء تاتي شرطة السجن مجتمعة، مايعرف عسكريا باسم السرية، ويخرجون المخبر محمد لسماع اقواله مجددا.

اثر ذلك، خليل (من التل)، عبد القادر وعدنان (من حلب) وعبد القادر (من حماة) يخرجون الى الباحة لتلقي الدولاب بمئات الكرابيج. هذا الشخص واخرون مستقبلا سيهددون اي انسان ينصحهم او ينتقدهم او يعتبرونه عدوا او يمنعهم زيادة عن حصتهم في الطعام او الماء او مكان النوم او حتى تخفيض الصوت، سيهددونه بهذه التهم الجاهزة سلفا من دروس وتنظيم وتدريب عسكري او حتى صلاة. هذه الاخباريات عرفت بين مصطلحات السجن ب "طق برغي". لااعلم اصل هذا المصطلح لكن ربما اتى من ميكانسيانية السيارات فاذا انكسر برغي فشل المحرك او الجهاز مع مرور الزمن، اكتسبت خبرة توقع طق البراغي. لابد من مشادة ولو صغيرة يعقبها اجتماعات مكوكية بين المقربين او مستشاري طقيق البرغي مع حكماء المهجع ومسؤوليه تنتهي بمساومات او تنازلات او طق البرغي.

كانت اولويتي القصوى هي ختم القران فكنت احفظ ماتيسر كل يوم حسب توفر الحافظ المتقن. وكالعادة الحفظ يتم بالتلقي وكنت اسمع الاية كاملة مرة او مرتين ممسكا بعقدة الابهام، اعيدها مرة اواثنتين ثم انتقل الى العقدة التي تليها حتى اتم ١٥ اية/عقدة في الكف الايمن ثم اتابع للايسر. ماهر من حماة كان صبورا معي طوال ٥ اجزاء ثم ختمت القران من خلال عبد القادر من حلب. كان لدي احساس ان وضع السجن سيسوء اكثر وكنت اخشى ان ياتي وقت من السوء لااستطيع معه ان اركز ذهني مع الحفظ. وزاد الطين بلة ان افرازات السجن حسب الأحكام كانت تتتابع وخشيت ان تاخذ الحفاظ او المتقنين من المهجع. كنت اسير طوال اليوم وسط المهجع ممسكا بعقد اصابعي اراجع ماحفظته.حافظت ايضا على عزلتي مع الناس الا لضرورة الحفظ او الجلوس للطعام فكنت ان لم امش ابقى جالسا مستقبلا القبلة اقرا القران..كان بعض الشباب يحاول التقرب بطلب قراءة القران فكنت اعتذر بحياء وان اجبرت بدات الختم لكن لم اكمله.

٣١ كانون الاول ١٩٨٥

آخر يوم من السنة..هدوء غير معتاد في التفقد..الشرطة مستندة على حيطان الباحة وهي تراقب المهاجع تدخل دون تدافع او كرابيج..تلك ستكون ميزة التفقد في حال قام بها الرقيب اول محمد نعمة في الغالب

٧ كانون الثاني ١٩٨٦

ياتي الرقيب اول محمد نعمة ويطلب يوسف من اللاذقية وياخذه الى زنازين الباحة الخامسة. .ربما طق برغي مضاد..سمعته يقول ضاحكا استطيع ان اطق لكم براغي عن بعد. غاب في الزنازين حتى اوائل نيسان

طوال شهر كانون الثاني كان التنفس يترافق بدخول الشرطة الى المهاجع وبعثرة محتوياته وخلطها ببعضها. نقضي اليوم كاملا في البحث عن اغراضنا الخاصة

١٢ شباط ١٩٨٦

هذا سيكون اول اعدام لهذا العام حيث اعدم حوالي ثلاثين شخصا مع محكمة دامت حتى العصر

١٨ شباط ١٩٨٦

اعدام ثان خلال اقل من اسبوع منهم عبد العزيز جواد (بطل كمال اجسام من حماة) و احد الاخوين فيصل او عبد الرحمن الحيط ايضا من حماة. عند العصر سمعنا تراكض الشرطة واصطفوا لفترة مستندين الى حائط مهجعنا..قطعنا الصوت ولاندري مايحصل..تنزل لجنة الضباط لتنفيذ الاعدام بشخص واحد لم نتبين من اين اتوا به ولم نعلم له اسما. تلك ستكون المرة الوحيدة التي سيعدم فيها شخص واحد بعد العصر خلال وجودي في السجن ولاندري لم لم يعدم مع من اعدم في الصباح..هناك تحليل يبقى كتساؤل ان هذا الشخص ربما يكون قائد الطليعة المقاتلة عدنان عقلة وقد اتوا به على عجل من دمشق بعد ان انتهى اعدام الصباح..الله يعلم ..في اثناء ذلك كان هناك نقاش ديني عام مع احد ممثلي التيار السلفي من حلب وكان النقاش عن "القوة المودعة" وقضايا اخرى نوقشت وانتهى القول فيها تاريخيا بين اهل السنة والجماعة وبقية فرق الاسلام. توقف النقاش طويلا عندما وقفت الشرطة بازاء حائط مهجعنا..لم استسغ توقيت ذلك الحوار العام وان كان هاما علميا لكن لدينا اناس يفقدون حياتهم في الوقت الذي نجري فيه النقاش..دمهم اثمن..ربما قست القلوب او طال السجن حتى اصبح الاعدام امرا عاديا..ليس بالنسبة لي

٦ اذار ١٩٨٦

انهيت حفظ القران هذا اليوم وكانت حفلة في المهجع وانشدت "اخي ياحافظ الذكر" للمنشد ابو الجود وكان الطعام فتة حلاوة مغطاة بالحلويات المخباة من ايام المناسبات.خلال شهري اذار ونيسان اتوا بالكثير من الطعام والنمورة والمخلل وحتى بعض الخضرة وتحسنت صحة ومعنويات الناس وارتفع سهم المحللين السياسيين والنتيجة واحدة "مفاوضات"

١٧ نيسان ١٩٨٦

اجتمع رئيس السجن بالوكالة العقيد بركات العش، غازي الجهنة قيل انه يجري دورة اركان، مع رؤساء المهاجع واعلمهم ان حلاقة الذقن خارج المهاجع قد الغيت. كان فرجا عظيما فكم سالت دماؤنا من جرحنا عمدا اثناء الحلاقة على يد الحلاقين البلدية (القضائيين)، وكم ساد الخوف والرعب عندما نسمع اصوات الجاطات البلاستيكية وهي ترمى بالباحة يصاحبها صوت رئيس البلدية بصوته العلوي الاجش "حلاقة..رغاية ولا". كان علينا ان نرغو ذقوننا بالصابون العادي ونخرج على دفعات للحلاقة ونعود تسيل دماؤنا من الكبس المتعمد للشفرة على الجلد وبما تيسر من الكرابيج واللكمات والصفعات..كان فرحنا لايوصف. صاروا يدلون بالة الحلاقة اليدوية من الشباك فوق باب المهجع وعندما ننتهي نعيدها لهم.

حزيران ١٩٨٦

كانت هناك حفريات وسط باحتنا الثالثة وعندما ردموا التراب اخرجونا مثل بقية المهاجع لنعبد الطريق باقدامنا الحافية ذهابا وايابا فوق الحفرة

٢ تموز ١٩٨٦

تم اعدام حوالي ثلاثين شخصا منهم هيثم قره بولاد (مهندس من حماة، نادي الطليعة الرياضي)، تبعها محاكمة لشباب من اللاذقية وحماة بعضهم من مهجعنا

خلال شهر تموز تتابع فرز السجناء حسب احكامهم من السنتين الى المؤبد. بهذا الفرز اختلت تركيبة المهجع جذريا واصبت باكتئاب جراء ذلك فبدات احس بخطورة ماانا فيه فانا لم احاكم بعد. هذه الافرازات جعلتني اختلط قليلا بالناس خوف ان افقدهم خلال الفرز الفجائي. كان صيفا حارا واصوات التعذيب والكرابيج لاتنقطع من الباحة الرابعة

٣١ تموز ١٩٨٦

قرئت ثلاثة اسماء للاعدام هذا الصباح: احمد لحام من دمشق (توفي مريضا سابقا)، باسل شرفة من دمشق (كان في زيارة لاهله في الفرع) وشخص من عائلة الحوت من حلب وهو الوحيد الذي اعدم هذا اليوم.

٢٦ آب ١٩٨٦

بدات الاوضاع تسوء بشكل كبير مع عيد الاضحى

١ ايلول ١٩٨٦

شوهد مسؤول امني كبير يتجول في باحات السجن لابسا بدلة سفاري. تكهن بعضنا انه اللواء حسن خليل. اثر ذلك تدهورت الاوضاع فاصبح الطعام قليلا برغيف واحد لثلاثة سجناء ولادواء وشدة بالتعذيب الى نهاية العام

٢٤ ايلول ١٩٨٦

يقرا اسم باسل شرفة (مواليد ١٩٦٢، من دمشق، طالب ثانوي جنسيته اردنية) على الاعدام ثانية وكان قد عاد من الفرع في دمشق الليلة الماضية. كان الشيخ هاشم مصابا بدسك شديد والام في ظهره فكان يحبو حبوا ولايستطيع السير. طلب الشيخ من رئيس المهجع ان يرى باسل من شق الباب وقت اخراجه للاعدام. بدا الشيخ متاثرا بعدها.

١٨ كانون الاول ١٩٨٦

تم الغاء حلاقة الراس خارج المهجع واصبحنا نشتري ماكينة الحلاقة اليدوية مع الدواء. سمحوا لنا بماكينتين. الحمد لله ان ارتحنا من تعذيب حلاقة الراس لكن سيبدا تعذيب من نوع جديد. فمهما كان شعرنا قصيرا لايتجاوز الميلمتر الواحد فستجد التنبيهات المتتالية: ليش شعرك طويل ولا. فاصبحنا نحلق الشعر كل اسبوعين. الامر الاخر انهم توقفوا عن تبديل الماكينات فكان على المهندسين ان يبتكروا وسائل من المطاط والبلاستيك لاجبار الالة على العمل حتى لو فقدت سنا اوسنين، وكان علينا ان نشحذ اسنان الالة بحتها على الارض واصبحت الحلاقة مع الايام اشبه بالنتف. لايهم فهذا افضل من ان نجر الى الباحة للتعذيب.

٣١ كانون الاول ١٩٨٦

كنت قد بدات بقراءة القران على الشيخ هاشم، عرضته عليه مرتين خلال مكثي معه لتعلم التجويد، وكنت جالسا معه مساء عندما اتت الاوامر باكرا من الخارج: عالنوم ولا. هذا مؤشر بنية سوء مبيتة لليوم التالي اول العام الجديد

١ كانون الثاني ١٩٨٧

تعذيب شديد اثناء التفقد كما توقعنا واصبح امرا يوميا

٧ كانون الثاني ١٩٨٧

اعدام ماعرف بين السجناء بالمخبرين وهم الذين لم يصمدوا امام التعذيب ثم الاغراء فاتوا بالكثير من الناس . هم مخلص وعمر وطاهر

١٣ كانون الثاني ١٩٨٧

اتوا الينا ب ٢٥ شخصا من مهجع الاحداث وهم الذين اعتقلوا تحت سن ال ١٨ وكانوا حوالي ال ٤٠٠. اصبح المهجع مكتظا ب ١٢٠ شخصا والجو خانقا رغم الشتاء القارس

٢٠ كانون الثاني ١٩٨٧

تاخر التفقد عن وقته المعتاد وكانت اصوات الصراخ تاتينا من الباحة الاولى مختلطة بصوت الرعد الذي يملا ارجاء السجن. كان خوفا عظيما لكن اتوا ولم يضربونا ومر التفقد بهدوء غير طبيعي خلافا للايام العشرين الماضية. عرفنا فيما بعد ان احد شباب المهجع ٧ في الباحة الاولى صاح الله اكبر عندما ضربوه اثناء التفقد فضرب بدولاب وسيق الى زنازين الباحة الخامسة. تواقت ذلك بان بصق احد شباب مهجع ٢ في الباحة نفسها بوجه ضابط امن السجن المساعد نزيه سليمان فضرب هذا الشاب على راسه بحديدة فقتل على الفور على باب المهجع. اولت ادارة السجن ماحدث على انه محاولة تمرد فتم اتخاذ عدد من الاجراءات. اصبح السجناء القضائيون (البلدية) هم الذين يدخلون الطعام الى داخل المهجع. بات علينا عند كل فتحة باب ان نكتظ جميعا الى اقصى الداخل جالسين (بدل الوقوف) ورؤوسنا الى الاسفل مغمضي الاعين. التشديد على ادنى مخالفة كحيازة ابرة او ساعة او شفرة..الخ باشد انواع الضرب. ايقاف التعذيب تماما على التفقد لثلاثة اشهر تلت.

٢٣ كانون الثاني ١٩٨٧

اما الاجراء الاخير فكان ان اتوا برئيس مهجع اختاروه من المهاجع ذوي احكام البراءة او السنتين (صار لهم في السجن خمس سنوات على الاقل). كنا على حذر منه لايام وكان محيي الدين (طالب هندسة من دمشق، مواليد ١٩٦٠) ايضا متحفظا حتى عامله البعض منا لفترة من الزمن على انه مخبر للشرطة. تبين فيما بعد انه شخص راق ومضح وعلى تقوى..مرضت طويلا خلال شهر شباط وكنت على توجس دائم ان انتقام الشرطة لابد قادم وان هذا الهدوء ماهو الا مرحلة اختبار قبل مجيء العاصفة.

كان هناك الكثير من الشعر الذي صيغ في مهاجع السجن وفي هذه الفترة حيث الأبواب مغلقة بدأت البحث عن القصائد في جعبة القادمين الجدد. حفظت الكثير وأبقيت القليل

أماه طال المشتكى فمتى الإياب

ومتى يكون الملتقى بعد الغياب

ومتى أرى أمي التي تحيا العذاب

أمي التي رعت الطفولة والشباب

هذا السؤال يهزني, هل من جواب

أماه إن عصفت رياح الفدفد

وتلبدت سحب الظلام المرعد

وغزتك أهوال الحياة كمارد

فامضي على درب الخلود ورددي

بعد الظلام سيشرق الفجر الندي

كان بعض هذه القصائد ذات كلمات بسيطة لكن بوقع مؤثر ووصف دقيق لزاوية من حياة السجين و قد حولت إلى أنشودات تسهل حفظها

رباه ذكرك يحييني — ويزيل الكرب ويشفيني

رباه إنك مطلع — خوف وعذاب يكويني

لاتخفى دونك خافية — إيماني هذا ويقيني

أسر وقيود واكتملت — أصناف المحنة في الدين

حتى الأيام تسائلني — وليالي الصبر تناديني

وتلح علي بإشفاق — أبعيد عهد ينجيني

وكان من أروع ماحفظت أنشودة قل من قابلت بعد إلا وقد سمع بها وكانت من الأناشيد المعتادة في المهاجع

كم ذا التجأنا وليل الظلم يؤرقنا — كم ذا دعونا من الأعماق راجينا

كم ذا استعذنا برب الناس والفلق — كم ذا تلونا بقصد اللطف ياسينا

كم من ليال والآهات تؤلمنا — قيد الجراحات إن كادت لتردينا

عرش الطغاة وحكم الظلم منسحق — أبشر أخي فإن الله راعينا

أبشر أخي سيمسي السجن ملحمة — مثل الأساطير تروى عبر ماضينا

وانه إلهي بفتح الباب محنتنا — وانظر إلهي بعين اللطف باكينا

أنت الإله ورب الناس كلهم — نحن العبيد فيا الله فاحمينا

١٦ آذار ١٩٨٧

احس بنسمات الربيع تملأ الاجواء. هذا سيكون اول يوم نبدا فيه بادخال الطعام بانفسنا الى داخل المهجع.

١٨ نيسان ١٩٨٧

تحقق ماكنت متوجسا منه بدءا من هذا اليوم فقد بدأ توزيع حزم الكرابيج على الباحات منذ الصباح و امروا برش الباحة بالماء من بيدونات المهجع كما هي العادة (هذه ايضا ستكون الوسيلة المثلى للقضاء على احتياطي المهجع من الماء بعد قطعه). عم الخوف الناس ونحن نسمع مايحل بالمهاجع التي سبقتنا. ماإن خرجنا حتى بدات التعليمات بان على كل منا ان يمسك باذني من خلفه وان نركض على رجل واحدة. ادى ذلك الى جروح وتقيح الاذان فيما بعد. ثم اتت الاوامر ان نشرب من الماء المطين المتجمع في حفر الباحة. تكرر ذلك مساء وكان اسوا اذ ادارة السجن غائبة وترك امر التعذيب لمزاج العرفاء وقل عدد الرقباء. في الوقت نفسه كثر الطعام واختفت شهية الناس من الرعب فكنا نعيد معظم الطعام كماهو برغم الضرب على اخراجه والعاقبة في تقليله مستقبلا.

يجيء رمضان وسيكون الاول في منع الصيام رسميا والغاء السحور. خلق ذلك تعقيدا فمتى ناكل وهم يتعمدون الاوامر بالذهاب الى النوم قبل المغرب وكيف ناكل ليلا. اصبحنا نعجن الرز او البرغل بالمرق ونحشو به الخبز لاكله تحت البطانية الصوفية في حر خانق. المنظر مضحك نوعا ما وانت ترى عشرات الافواه تحاول مضغ سندويش البرغل او الرز. كان الهم الاكبر هو ايضا منع خشخشة اكياس النايلو حتى لاتجلب الانتباه ان احدا ما مستيقظ. ماذا نفعل بالشاي؟ قررنا وضعه في بدون معين لشربه وقت الافطار. مرة طلبوا كالعادة بدونات الماء لرش الباحة قبل التنفس فنسي احدنا ان احدها شاي فكان ان انكشف امرنا وزاد التدقيق علينا. وكان لابد عند ادخال الخبز من اجبار عدد منا على الاكل والبلع لاثبات الافطار. كنت احدهم في يوم من ايام رمضان عندما اجبرني الرقيب على اكل الخبز ودخلت المهجع مغتاظا رغم تاكيد الحكم الشرعي على صحة صيام من افطر مكرها.

١ ايار ١٩٨٧

ماان دخلنا من عذاب التفقد حتى هجم محمد المصاب بالصرع واحد طقاقي البراغي على الباب ليدقه بعنف ويطلب المساعد.

ياتي المساعد نزيه سليمان على عجل: شو في عندك ولا..

سيدي مخبيين بالمهجع ابر خياطة..

ياتي وقت تنفس العصر فيخرجون مهجعنا وتاتي الدواليب لضرب رئيس المهجع خطار من حماة والمسؤول الصحي د.شهير من حماة وعبد اللطيف من حلب. ياتون ايضا بالبلدية لتفتيش المهجع وقضم قطع الصابون بأسنانهم للبحث عن ابر الخياطة. وجدوا الابر ووجدوا خيطان جدلناها من البوليستر لخياطة الجروح. كان عصرا ملتهبا من الحر واصوات الكرابيج. عبد اللطيف فقد صبره فصاح الله اكبر على الرقيب شوشو ابو الشوارب (لقبناه بذلك لضخامة شاربيه) وقد علم بهذا اللقب فاعجبه وكان يمر فيما بعد ويصيح بصوت عال: شوشو ابو الشوارب. اثر تكبير عبد اللطيف ادخلونا بسرعة الى المهجع وبتنا نخشى على حياة عبد اللطيف. اتوا ثانية قبل المغرب للسؤال عنه فاخبرناهم انه ليس سليما عقليا والا فانهم سيقضون عليه ومرت بسلام. اعقب ذلك ان كان احد الرقباء يفتح نافذة باب المهجع ليسال: لك ولا انا شو مسمياني..لك ولا شو مسمياني. لااعرف من اي منطقة هو اعتمادا على لهجته لكن كنا نلمح الصليب الذهبي يتدلى من رقبته.

٨ تموز ١٩٨٧

كان يوما اخر من ايام طق البراغي وكان ذلك عصرا عندما خرج احدهم الى الشرطة والتهمة حيازة شفرة. تاتي الدواليب ليدخلها ١٧ شخصا من المهجع ينتقيهم المخبر على مزاجه. اما بقية المهجع فكنا واقفين على حائط مهجع جديد جديد على الركب لاالاقدام والايدي الى الخلف والكرابيج تلسع ظهورناطوال تنفس العصر الطويل. على سطح مهجع ١٢ كان الشرطي ابو غضب (هكذا لقب نفسه وامرنا ان نقدم الصف له بهذا اللقب) يصيح مرغيا مزبدا: لك خدولي عنه طالبا من احد الشرطة ان يحل مكانه في حراسته على السطح وكان يغني بصوت بدوي :

لو ماتخونون للموت اباريكم

مبلا ياحيف متل الحلم مرت لياليكم

اووف اووف

تمكن من انهاء نوبته ونزل مباشرة يمسك الكرباج وكان سببا في قلع عين ابو جاسم من حماة حيث لم نتبين وجهه المنتفخ المسود من كثرة الكرابيج على وجهه.

اصبحت الامور تزداد شدة وسوءا فقد ساءت حالة المهجع من الداخل حيث لانتوقع متى موعد البرغي التالي، ومن الخارج فالتعذيب على أشده طوال اليوم وزاد الامر تعقيدا ان اصبح مهجعنا متميزا في الباحة بانه مهجع المشاكل فكان الضرب علينا تحديدا حتى لو مر يوم دون ضرب في تنفس ما فسيصيبنا. صحيا بدا النحول ظاهرا على اجساد الناس. الاختناقات كانت كل يوم بسبب الحر والازدحام الشديدين فكان المصابون بالربو يتناوبون على شق الباب السفلي علهم يخففون نوعا ما من ازمة ضيق التنفس. كان علينا ان نتناوب بان يمسك اثنان بالعازل (وهو ماننام عليه وهو قطعة من الخاكي خيط بحجمها قطعة من البطانية وهي متران بمتر) للتهوية طيلة اليوم. حر لايطاق وكنت اجلس على الارض الاسمنتية واراقب العرق المنسال بي حتى يتجمع على شكل بركة ماء صغيرة تحتي. مرة فتح الباب عصرا وامرونا بالاغتسال بثيابنا تحت حنفية الماء التي يستخدمونها لجلي الجاطات في الباحة. اما الشرطي ابو الغضب فكان بلاء لايوصف ولانستطيع ان نتوقع كيف سيسلك بنا ذلك اليوم. كنا نرتاح لمعرفة من سيكون في الباحة وكنا نحسبها مسبقا فكانت دوريات الشرطة تعود الى باحتنا كل ثلاثة ايام فكنا نرتاح لمجيء اقلهم سوءا ونشد الاحزمة نفسيا لاستقبال مايخبئه لنا اسواهم. مرة ابو الغضب امر باحدنا ان يصعد الباب ويدلي بيده من الشباك ليتسلى بضربها بالكرباج حتى يرتوي. ومرة امر باصابع احدنا ان تدخل في فتحة نافذة الباب وكان يضغط النافذة على الاصابع ليكسرها واخونا يستغيث.

منذ دخول تدمر كان تعيين موضع الوقوف في الصف قبل الخروج للتفقد طوعيا وكان مكاني الدائم حتى الان في كلا المهجعين "على الطرف" في الصف الثاني. هذا يعني التعرض للقسط الاكبر من الضرب اثناء الوقوف واثناء العودة للمهجع اذ ساكون بين اخر من يدخل بخاصة اذا نادى الرقيب "الكل علمهجع ولا". فترى الناس تتدافع كل يحاول ان ينفد بجلده والكرابيج تهطل كالمطر عند المدخل حيث يتجمع الناس. عند الباب ايضا يتم التقاط عدد من السجناء للاستفراد بهم لمزيد من الكرابيج والصفع والركل. كان همي اثناء الوقوف وعند العودة ان احمي راسي. كنت احمي راسي عند التراكض بان اضع راسي الى خاصرة من امامي وانا ممسك بجنبتيه بيدي بكل احكام. سيل الكرابيج على الظهر كان امرا لابد ولامفر منه. لكن المصيبة كانت عند الوقوف فلايمكن حماية الراس فكانت الكرابيج وهي تدق الراس تتركه مع صفير في الاذان. بدات مشكلة اخرى تطفو في صيف هذا العام الملتهب. فالصف الامامي في التفقد هو الاكثر عرضة للايذاء فاستهداف الاعين والخصيتين بالبساطير كان امرا محببا للشرطة.

خلال هذا الصيف خرجوا علينا بتقليعة جديدة ولربما اتت من شرطي او رقيب ذي قلب. فقد اتت الاوامر للصف الأول ان يستدير باتجاه الصف الثاني الذي انا فيه واصبحت الرؤوس متداخلة واصبحت عيون الشباب نوعا ما محمية وبت انا المعرض للضرب..

في يوم من الايام قبل التفقد، نزل علي النعاس ولربما من انهيار اعصابي فقد وصلت مرحلة لااستطيع تحمل صيحة فماادراك بالضرب. الناس كلها منهارة متعبة ولا من متطوع ياخذ عني حمل ذلك اليوم الملتهب..ارى رؤيا انني خرجت للتفقد، صففت في الصف الاخير بانتظار العد التنازلي لمجيء الشرطة للباحة واذا بصف اخر من الرجال ورائي. طول احدهم قرابة مترين او اكثر، يلبسون البياض وعيونهم سوداء واسعة. افقت من رؤياي التي كانت كومضة مستبشرا. عدنا من التفقد ذلك اليوم ولم يمسسنا احد. كنا بحماية هؤلاء الرجال ذلك اليوم

يوم من ايام تموز واثناء الدخول للتفقد وعند الباب تم سحبي من قبل شرطي: غمض عينيك وارفع راسك ولا.مضى وقت ولم يضربني ففتحت عيني من تشنجي..فوجئت بقصر ذلك الشرطي وهو يلوح بيده بطريقة غريبة قبل ان يهوي على اذني. يبدو انه اغمي علي فقد وجدت نفسي داخل المهجع بالم راس شديد.

كان الملاذ لي دائما هو القرآن وكان خوفي ان يضعف حفظي نتيجة الامواج المتلاحقة من البلاء فكنت اقرا جزءا كاملا عند الصباح قبل ان ياتوا للتنفس لانه كان من المستحيل ان اركز على التلاوة بمجرد بدء سمفونية الرعب: ابواب المهاجع والباحات الحديدية تفتح وتغلق بصدى مرعب، هدير ركض الارجل الحافية للسجناء على ارضية الباحة المزفتة فوق رمال الصحراء كانت كدقات طبول الحرب، ثم صوت لسعات الكرباج الرتيبة المترافقة بالصراخ والتوسل. الملجا الوحيد لي هو من بدء السجن هو الالتزام بتكرار جملة واحدة يستقر

القلب معها فكانت جملتي المفضلة "استغفر الله العظيم الذي لاإله الا هو الحي القيوم واتوب اليه". اما المهجع فكان يتجمع منذ الصباح الباكر قبل توزيع الفطور لقراءة حزب الامام النووي والدعاء ليلا بصوت واحد. كانت الايام تمر ثقيلة واكثر من ان تحتمل. لم اكن شجاعا مثل كثير من الشباب المضحي ولم اكن جبانا فاهرب. الا حادثة واحدة اشعر بالخجل تجاهها. كان الوقت عصرا وكان الضرب على اشده.

الكل لبرا ولا..

يخرج الجميع الا انا فاختبات في دورة المياه ولو دخل الشرطة لكانت عقوبتي لاتوصف. لاانسى منظر المهجع وهم يحاولون الدخول للمهجع ولايستطيعون للتزاحم وانهمار الكرابيج. عبد القادر يئن من الالم. كم احتقرت نفسي ان فررت من الزحف في تلك الموقعة. عاهدت الله الا افعل بعدها ابدا..ووفيت بعهدي

كانت هناك رؤيا متداولة بين سجناء تدمر وكانت مصدر فرح وعزة وكبرياء. الرسول صلى الله عليه وسلم يخبر الرائي: "اصبروا آل تدمر فان موعدكم الجنة". رايت الرسول صلى الله عليه وسلم نادرا وكان احداها في ايار من هذا العام وكان يقول:"يا عباد الله فاثبتوا". كانت مؤشرا لما كان ينتظرنا طوال هذا الصيف الملتهب. مع دخول تموز ايقنا اننا وصلنا الى مرحلة غير طبيعية من تاريخ السجن فالتعذيب لايطاق والاجساد ضعفت وبدات تتسرب الاختلافات الى القلوب نتيجة طول السنوات في السجن. الاخطر من ذلك كله هو قلة عدد المتطوعين نتيجة الاصابات المتتالية فتم جعل الوقوف في التنفس والتفقد دوريا يبدل كل يوم. وبات يتوجب علينا ان نصطف طويلا داخل المهجع كل صف خمسة اشخاص وبات علينا ان نخرج كل صف ممسكا بيد الاخر لسرعة الخروج التي ان تاخرنا عنها قليلا فالجزاء غير محمود العاقبة. علي ان اعترف انني كنت اقل خوفا عندما كان الامر طوعيا.

٢٥ تموز ١٩٨٧

كان تنفس العصر ايضا حافلا بالدواليب نتيجة طق برغي اخر. والان بدء بلاء من نوع اخر هو قلة الماء فكان ال ٨ بيدونات والتي هي ١٦٠ لترا عليها ان تكفي حاجات ١٢٠ شخصا طوال اليوم. كان علي ان اصبح مسؤول الماء لاسبوعين لتامين بقاء الماء للشرب الى الليل بعد ان كان ينفد ظهرا نتيجة عدم الخبرة اوسوء الادارة. كنا ايضا نحاول ان نمص الماء من البواري الناشفة. المضحك ان المهاجع المجاورة كانت تفعل الامر نفسه فكان اصحاب الرئات القوية لكن بلثة الفم الملتهبة يستطيعون شفط بعض الالتار للشرب وان كان الماء ممزوجا بالبصاق وخيوط الدماء. اما دق الباب لطلب ملء البدونات مرة ثانية فهذا اخر ماسنفكر به لان العاقبة معروفة، ضرب وسباب.

٧ آب ١٩٨٧

بلغ بنا البلاء مبلغه هذا اليوم فالحر والاختناقات باتت لاتحتمل مما دفع رئيس المهجع لان يدق الباب بسببه. لم يجرؤ بقية المهاجع على دق الابواب بسبب الاختناقات خوفا من التعذيب وهذا ادى الى الاستفراد بنا وكنا نغتاظ لذلك فلسنا اكثر شجاعة لكن غياب البعض عن الوعي كان يجبرنا بان نقوم بعمل ما انقاذا لهم. يفتح الباب: الكل لبرا ولا. مالن خرجنا الا وامرونا جميعا بالانبطاح.وين المخنوقين ولا طالعهن. لم يجرؤ بعض منهم ان يخرج فتطوع أخ من دمشق وبدؤوا بضربه ومروا على عدد منا فضربوهم بالحديد على ظهورهم. كان هذا الحديد مما يستعمل لبناء مهجع جديد في الباحة السادسة فكان اللبن والخشب مما استعمل في ضربنا هذا الصيف. فجأة والكرباج يعمل بنا اذ اتى الرقيب شوشو ابو الشوارب واوقف الضرب تماما وساد هدوء جميل لكن حذر. ابقونا هكذا الى ساعة متاخرة من العصر. مالن دخل الليل الا وفتح الباب ثانية وامرونا بالخروج. قررت هذه المرة ان اخرج عاري الصدر. قلت لنفسي اريد ان اعاني ماعانى السجناء الاولون بعد المجزرة. يامروننا ان نجلس بارتياح وترتيب بعيدا عن بعضنا البعض وان نتنشق الهواء بعمق. كان نسيم الليل باردا رائعا. فجأة احس بلمسة على كتفي. وقف ولا.

اقف متوجسا واذا بطبيب السجن يكلمني بلطف: شو هاد؟

لم أفهم بداية لكنه اشار الى كتفي واعاد السؤال. هنا تذكرت انني تلقيت عدة كرابيج على ظهري في التفقد قبل ايام. اجبت: عقوبة.

قال: عقوبة تاديبية؟

قلت نعم.

منذ متى؟

اسبوعان.

اسمعه يصفر مندهشا: روح علمهجع.

لاأدري ماذا شاهد على ظهري..أكيد خريطة طريق بالألوان. ركضت بسرعة الى المهجع وكان بنطالي ينقط تعرقا برائحة تشبه الرمل الرطب على شاطئ بحر. بقيت متوجسا لايام بعدها خوف الاستدعاء من قبل الشرطة للتحقيق في ذلك الحوار.الامر الجديد هذا اليوم هو ظهور محمد نعمة كضابط امن للسجن برتبة مساعد.

٨ آب ١٩٨٧

كان اختفاء ضابط امن السجن محمد نعمة ثم ظهوره الفجائي لغزا محيرا وعرضة لعدة تاويلات بين قائل انه كان في سجن نتيجة اختلاس او كان في سجن كأي سجين لكن جزءا من تدريب على دورة سجون. التاويل الثاني هو المرجح لدي اذ انه عاد بشخصية مختلفة تماما. تعامله معنا ينم عن دراية بنا كسجناء وكسوريين. لم تكن لهجته علوية وكان اشبه مايكون باهل حماة و خاصة عندما كان ينزل الى باحات السجن بعد تفقد الاقفال قبل المغرب. كان يتجول بجلابية ويعقد طرفها الى وسطه وكانه من منطقة الحاضر في حماة. على الرغم من دمويته التي سنعاينها اكثر مستقبلا فقد كنا نتفاءل بوجوده في الباحة لان التعذيب يتوقف.

٢٤ اب ١٩٨٧

اعدام شخص واحد اخرج من الباحة الخامسة

21-**٢٨ ايلول ١٩٨٧**كانت ابواب المهاجع تبقى مفتوحة عصرا دون تنفس

24 ايلول ١٩٨٧ نقل السجناء ذوي التهمة الشيوعية الى صيدنايا من مهجع ١١ ومهجع المستوصف خلال يومين

28 ايلول ١٩٨٧

كان التنفس عصرا والوضع اشبه بالصيف الماضي فكان الضرب علينا يتوالى ونحن نمشي مشية البطة ثم تم انتقائي للضرب بسبب البدلة الحمراء التي البسها كل يوم. اثر ذلك، الشيخ هاشم نصحني الاالبسها ثانية لان اللباس الاحمر مستهدف. فككت تلك البدلة الى خيطان واختفت الى الابد

٤ تشرين الاول ١٩٨٧

نقل سجناء تهمة البعث العراقي الى صيدنايا. عصر هذا اليوم توفي محمد الناعم ابو ابراهيم من طلبة الازهر من ادلب بعد صراع مع المرض لاكثر من ثلاثة اشهر. بدات احواله تتدهور مع مرور الايام ولم يصدقه الناس اول الامر لظنهم انه يتظاهر بالمرض ليتجنب الخروج للتنفس. كان المسموح الابقاء بخمس من العجزة والمرضى داخل المهجع سواء في التنفس او التفقد. ساءت الاحوال اكثر فلم يعد يريد ان ياكل وخشينا ان يعلم به انه مضرب عن الطعام فكنا نخلط الطعام كله وندخله بانبوب من انفه لياكل. . بقيت حالته تتدهور حتى كان ليل الثالث من تشرين الاول عندما دخل النزع الاخير مع منتصف الليل. بقيت ساهرا انا وشهير، المسؤول الصحي، حتى توفي رحمه الله. كنت ارقب فمه يفتح برتابة واعيد الاية "فلولا اذا بلغت الحلقوم، وانتم حينئذ تنظرون، ونحن اقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون". اتساءل ماذا يرى ابو ابراهيم الان ولااستطيع ان ارى. لم يات المساعد مع الطبيب الا قبل المغرب بعد تحويل دفعة السجناء الى صيدنايا. اسمع الطبيب يمزح مع المساعد قائلا له: بيقربك؟ محمد الناعم وانت محمد نعمة. اسمع الضحكات واتعجب من قسوة قلوبهم. ابو ابراهيم مات غريبا مريضا وله اهل واصدقاء وحياة ومكانة..لاقيمة لكل ذلك عند قساة القلوب هؤلاء.

ساد اثر وفاته حالة مرض من الفطر الذي اجتاح جلود السجناء في مناطق مختلفة من اجسادهم وكان من نصيبي ان نمت فطريات على اسفل قدمي ولايوجد دواء. كان الما لايطاق لايام ولااستطيع المشي عليهما الى ان اختفت تدريجيا.

هنا بدات تتتابع دفعات نقل السجناء بتهمة الاخوان وباحكام حتى عشر سنوات. لايمكن معرفة الاحكام لمن حوكم في تدمر اما من كان في سجن المزة فكان يعلم الحكم قبل نقله لتدمر. وهكذا كنا نعرف وضع الدفعة المنقولة اذا تضمنت احدا ممن كان في المزة والا فمن خلال قصص السجناء لبعضهم البعض. خلال هذه الاشهر الثلاثة التي بقيت من سنة ١٩٨٧، كانت دفعات الاخوان تنقل صباحا الى صيدنايا،

اما مساء او بعد يوم فان دفعات من سجناء لبنانيين ، بمعدل دفعتين اسبوعيا، كل دفعة حوالي خمسين شخصا، بدات تتوافد من فروع التحقيق والمعتقلات الى تدمر. كنا نميز انهم لبنانيين من الكلمات المرافقة لصراخهم اثناء حفلات الاستقبال تتناهى الينا من الباحة الاولى ثم يمرون من باحتنا مطاطئي الرؤوس مطمشين، كل يمسك بظهر من امامه الى المهجع المخصص. اصبح التطميش اجباريا لكل من ينقل من باحة الى اخرى. تم نقل حوالي الف من الاخوان الى صيدنايا وحل محلهم حوالي الف وخمسمائة من لبنان. كان التفاؤل عظيما ان السجن ربما يغلق و لكن بدا يضمحل مع مجيء اللبنانيين ثم استئناف الاعدامات التي توقفت طوال الصيف

١٢ تشرين الاول ١٩٨٧

اعدام عشرة اشخاص من ضمنهم محمد صادق عون. اكثر ماالمني انني سمعت ان هذه الدفعة ظنت انها منقولة الى صيدنايا، لكن بدلا من ذلك سيقوا الى ربهم

١٤ تشرين الثاني

اعدم محيي الدين جزائرلي (من دمشق) ضمن ستة اشخاص.اخرجوه من الباحة الخامسة

١ كانون الثاني ١٩٨٨

اذكر ذلك اليوم بوضوح..كنت اجلس لفترة طويلة عند الباب مع صديقي نهاد نراقب الباب من الشق السفلي..كانت تمطر في الباحة..كلنا امل ان الفرج لابد قادم

مع دخول كانون الثاني ١٩٨٨ بدا المساعد محمد نعمة بتوزيع ثياب بدلة خارجية بلون ازرق لكل سجين مع ثياب داخلية. جاءت في وقتها اذ البرد شديد وبطانيتان لاتكفي. بدا ايضا التعميم بوجوب وضع الطماشات على الاعين اثناء النوم! كان علينا ان نخيطها من ما توفر من قماش. وفقت لقطعة قماش بنية تمكنني من رؤية واضحة لما يجري حولي بينما لايستطيع الشرطة ان ترى عيوني..انجاز مذهل، اليس كذلك

١٧ اذار ١٩٨٨ اعدام عشرة اشخاص منهم شخص من ال كعيد واخر من ال هواش ربما من حماة

٢٨ آذار ١٩٨٨

كان في المهجع مشكلة "تعلق"من طرف واحد وقد تفاقمت في الليلة التي سبقت الاعدام الماضي عندما علت الاصوات ليلا بمرور شرطة.

شو في عندك ولا؟

ولاشي سيدي.

يتابعون الى باحة الذاتية بسرعة للتبليغ. يدق رئيس المهجع الباب طالبا المساعد لاستباق الامور. ياتي المساعد ونضع المسؤولية على "المصروع". تمر القضية بسلام لكن المساعد اضمر امرا. عصر البارحة كنا نجهز المهجع للصلاة بان نرمي البشاكير على حبل مددناه موازيا للشبابيك لستر الناس اثناء الصلاة.

يصيح شرطي علينا: مين طلع الى الشباك ونظر الى الخارج، ولا؟

لااحد وفعلا لااحد.

بكرا بفرجيك ولا.

وهكذا اتى الصباح وكنت اغسل ثيابي عندما فتح الباب فجاة: الكل لبرا ولا. طالع اللي كان عم يطلع من الشباك.

مافي حدا سيدي.

بدؤوا بضرب رئيس المهجع ثم المسؤول الصحي ثم بدؤوا بنا الواحد تلو الاخر عشرة كرابيج لكل واحد منا. كان هناك رقيب علوي كنا نسميه الروسي لشقار شعره وكان لطيفا لايضرب احدا. بدا يحاور رئيس المهجع عله يعترف ليجنبنا العقوبة الجماعية. لم يمكث الا ستة اشهر ثم نقل الى السرية الخارجية فلم نعد نراه بعدها. جاء دوري وكانت رجلاي متجمدتين من ماء الغسيل ثم برودة ارض الباحة فكان وقع الكرابيج على قلتها كاقسى مايكون وبقيت اتالم لما بعد الظهر. عندما اخرجونا للتفقد وراونا نركض لناخذ اماكننا في الباحة، صاح شرطي متعجبا: لك والله شياطين

١٨ نيسان ١٩٨٨

هذا اول شهر رمضان وكانت ذكريات رمضان القاسي من السنة الماضية لاتزال في مخيلتي فوجدت نفسي ادفن راسي بين ركبتي لابكي وادعو ان يمر بسلام وهذا ماحصل.مع دخول شهر ايار طاف المساعد على مهاجع السجن وسجل اسماء وعدد كبار السجن والمصابين بمرض عضال وقد تم اخلاء سبيل بعضهم في 5 ايار.

كان ألم الأسنان يذهب ويجيء وكان لي خراج في فكي الأيسر ناتئ. الألم كان مقترنا بألم والتهاب الجيوب الناتج عن الصفعات والكرابيج. أدى ذلك لفقدي ضرسين كان على أصدقائي أقوياء القلب أن يساعدوني في قلعهما. الأسلوب بدائي وهو إزالة اللحم ماأمكن حول الضرس ثم لف خيطان النايلو حول قاعدة الضرس. هذه الخيطان مجدولة إلى عصا خشبية وكان على أحدهم تثبيت رأسي بينما يقوم قوي البنية بشد الحبل ليخرج الضرس مع بعض من عظم الفك.

كنا في التنفس وكانت نوبة الرقيب المكسيكي, سميناه بذلك لشبهه بأهل المكسيك بشعره المطبق وشاربيه المحفوفين بعناية. كان ظالما لايرحم وكانت صفعاته تثقب الآذان ووقع أصابع يده على الوجوه كقضبان الحديد. سمعنا أنهم يدربون أصابعهم في أكياس الرز لتقويتها على الصفع وكثيرا مارأينا أحد الشرطة معصوب اليد نتيجة ضرب مبرح لنا من يوم سابق. فجأة: الكل يلقط بحص ولا. بدأنا نسير مشية البطة لالتقاط الحصى من أرض الباحة, لم أجد ماألتقطه فالباحة نظيفة تماما. فجأة بدأ صوت الكرباج والصفع. أسأل من حولي: شوفي ياشباب؟ عميض.ربو كل واحد مامعو بحص. بحثت في الأرض مرات ولم أجد شيئا. تذكرت قوله تعالى "الله ينجيكم منها ومن كل كرب" وبدأت أرددها. مشيت باتجاه الكيس حيث يجب علي إفراغ ذمتي من البحص. لم يكن معي شيء. أدخلت يدي في الكيس ونفضتهما كما لو كان معي شيء. الشرطي يراقب لالتقاط ضحية جديدة وأنا أنتظر أن يستدعيني. أدخل المهجع وأنا لاأزال أنتظر أن يسحبني خارجا. نجوت ولاأزال أتأمل قوله تعالى "ومن كل كرب" فالله ينجيكم ليس فقط "منها" بل "ومن كل كرب". مشهد هذا اليوم أصبح مقترنا بهذه الآية من سورة الأنعام منذ اليوم.

٤ حزيران ١٩٨٨

تغير نمط المحاكم بدءا من محكمة هذا اليوم فقد اصبحت المحكمة الميدانية برئاسة اللواء حسن قعقع وهو سني من اللاذقية بدلا من العقيد سليمان الخطيب واصبحت المحكمة على يومين في الاول استماع وفي الثاني تقرير للحكم واصبح الضرب اقل من ذي قبل خلال المحكمة

١٦ آب ١٩٨٨

وفاة وجيه شحادة وهو استاذ مدرسة من ادلب نتيجة ضربه على قدم واحدة في موقعة ٢٨ اذار قبل اربعة اشهر. ساءت صحته تدريجيا بعدها حتى دخل النزع الاخير عند الظهر. بقي يردد الاية بصوت عال "واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على مايفعلون". بقي يرددها حتى خفت صوته. يطلب المسؤول الصحي من المهجع ان يقطع الصوت ليستمع الى دقات قلبه. انتهى. لم اتوقع وفاة وجيه فقد كان شابا نشطا في صحة جيدة. كانت صدمة لم استوعبها

٢٢ اب ١٩٨٨

ايضا يتوفى محمود سعيد ضابط من ادلب. نتيجة الضرب في ايار. ايضا يوقف المهجع الصوت للاستماع لدقات قلبه. اثنان يموتان في مهجعنا خلال اسبوع.علمت لاحقا ان حوالي المائة توفوا هذا الصيف بسبب سوء التغذية وقلة الطعام

سجن تدمر..باحة أولى..مهجع 4

27 آب 1988 – 28 نيسان 1991



٢٧ آب ١٩٨٨

امر فجائي بفرط المهجع هذا الصباح. كعادتي لم ارد ان اودع احدا. صليت ركعتين ودعوت الله ان ياخذني الى مكان افضل. تفرق مهجعنا على باحتي الاولى والثالثة بعد مايقرب من ثلاث سنين. ادخل انا وصديقي سعيد الى مهجع ٤ في الباحة الاولى ويغلق الباب. اعرف عن نفسي "اخوكم في الله براء سراج، مواليد دمشق، طالب كهربا سنة ثانية، سحب ١٩٨٤". هذا المهجع هو اكبر مهاجع السجن وكان يعرف سابقا ايام السجناء القضائيين بالمسرح وفيه عدة مصاطب وغرفة للكاميرا مع دورتي مياه. تراوح عددنا خلال اقامتي في هذا المكان ١١٧-١٣٠ شخصا ولذا فكانت اول مرة استطيع النوم على ظهري بارتياح بعد اكثر من اربع سنين. كل من فيه كانوا محكومين بالمؤبد.

٢٩ آب ١٩٨٨

اعدام حوالي عشرة أشخاص لم استطع تبين أسمائهم لانني كنت حديث عهد بالمهجع فلااستطيع الاقتراب من الباب.كانت فرحة شباب مهجع ٤ عظيمة بدخولنا وكانت بالنسبة لي ايضا فقد تخلصت من هاجس طق البراغي اليومي.

كانت اولى مفاجآت المهجع بعد ان عرفت عن نفسي على الملأ ان اتاني احد الاخوة من درعا فسالني: شو بيقربك نزار السراج.

انه ابي.

كان في الكويت في الستينات؟

نعم.

خالي كان رئيس المحكمة االكلية في الكويت وقتها وعندما احيلت اليه قضية مقتل والدك، كانت مرفقة بامر وقف التحقيق فيها!!

طبعا استغرقتني عدة ايام للتعرف الى نزلاء المهجع ومعظمهم ذو ثقافة عالية وسياسيون من الطراز الاول. كان هذا المهجع اكثر هدوءا ولسعته استطعت ان انام على ظهري وان اتقوقع كما اريد. بدات الانضمام الى صناعة الخيطان البلاستيكية. طول اليوم تراني اقص اكياس النايلو التي تخشخش لتكون خيطا واحدا متصلا عرضه ١-٢ سم وطوله حوالي الخمس امتار. ثم يبدا تحويل هذا الخيط الى خيط حقيقي بحكه وشده بقطعة قماش. هذا الحك يولد حرارة على البلاستيك تجعله يمتط الى اضعاف الطول الاصلي. هذه الخيطان بدأت تجدل لتصنع تقريبا كل شيء. كم كنت اتمنى وقت المجاعات لو كانت معدة بني ادم تستطيع هضم البلاستيك. لم يبق شيء الا وصنعه "اكياس النايلون": الرفوف، الشحاطات، السترات التي تخفف من وقع الكرابيج والبواري، مالم يصنع خيطانا ابقي لجعله طبقة اخرى للبطانية لتقي زمهرير الشتاء الصحراوي. لكن ادى ذلك الا روائح سيئة خانقة وخشخشات اثناء التقلب ليلا.

بداية شهر ايلول، كان باب مهجع "خمسة ستة" يفتح ويغلق تتبعه عدة دواليب لعدد من الأشخاص، مؤشر على طق براغي في ذلك المهجع. كان الطعام لايزال جيدا اثناء ايلول ورأينا البندورة لاول مرة لكن مالبث الجوع ان عاد مع الخريف وامتد طوال الشتاء حتى انني كنت اقضي الساعات تحت البطانية ليلا اتضور جوعا واحلم خصيصا بالحلاوة. لااعلم لم الحلاوة لها وقع خاص في قلب السجين، لم ابحث عن السبب طبيا لكن اذكر انه حتى اخي عندما اخلي سبيله بعد ٤٥ يوما كان اول ماقام به هو شراء حلاوة الجبن !

وكالعادة فقد بدأت بالبحث عن معلومات علمية لحفظها وكم كان فرحي عظيما أن وجدت حوالي 700 بيت من ألفية ابن مالك في النحو محفوظة. صرت أكتب 15 بيتا كل يوم على لوح صابون للحفظ. كنت أمسح ماء أو بصاقا فوق اللوح ثم أضع قطعة من كيس النايلو فوقه مما يوفر صفحة بيضاء وبالضغط بابرة الخياطة عليها فان الكتابة تصبح واضحة. وهكذا أمضيت الأشهر أكتب وأحفظ وأنسى ولشغفي بها كنت أحفظ ليلا بعد نوم الناس تحت الضوء الأصفر الخافت.

٢٧ تشرين الاول ١٩٨٨

كان اسمي ضمن عشرات سيقوا هذا اليوم الى المحاكمة العسكرية. لم يكن هناك اعدام. جلسنا طويلا على الارض الاسمنتية الباردة والايدي وراء الظهور والراس مدفون بين خواصر من امامي. كنت متشنجا لساعات خوف الرفس على الخواصر الى ان اتى دوري. يسوقني احد الشرطة لادخل غرفة صغيرة يجلس فيها رئيس السجن العقيد غازي الجهنة وضابط امن السجن المساعد محمد نعمة والعقيد سليمان الخطيب، الحاكم العسكري السابق واللواء جودت حبيب الحاكم العسكري الحالي وكاتب جالس جانبا. طلبوا مني ترداد تهمتي التي

رتبها لي العقيد يحيى زيدان رئيس مخابرات حماة العسكرية بحماة. لم يكن لي خيار الانكار. ربما دقيقة مرت وانتهت المحاكمة. لااعلم نتيجة الحكم! اصبحت محكوما كغيري من قدامى السجناء وعلي من الآن ان اجهز نفسي للاعدام كلما قرئت أسماء في الباحة.

٢٨ تشرين الثاني ١٩٨٨

اعدام عشرة اشخاص منهم عماد الخطيب مسؤول انزال شباب الطليعة المقاتلة الى سورية من تركيا بعد احداث حماة، سامح الابرص وابو ايهم شحادة، كلاهما كانا معي في فرع التحقيق العسكري بدمشق وحولنا معا الى تدمر. كانت الامور في السجن تزداد سوءا مع دخول الشتاء من قلة طعام وشدة تعذيب. بدات ممارسات الايام الاولى التي اعقبت افتتاح سجن تدمر اثر المجزرة تعود من استعمال لبواري الحديد في الضرب وتكسير العظام. كانت احدى الوسائل هي استهداف قصار القامة بامر احدهم بالوقوف كالعادة مغمض العينين واليدان للخلف ثم يمسك السجين من الكتفين ليفتل كمغزل مما يؤدي لوقوعه على الارض وكسر عنق الفخذ. احد اصدقائي وهو محام من دمشق كسر عنق فخذه فأخذ اولا الى مشفى تدمر ثم نقل الى مشفى تشرين العسكري في مدينة التل ليغيب اشهرا ثم يعود معاقا. كانت قد بدات تاتي دفعة جديدة من الشرطة وكان مهجع ٤ يؤرخ لمجيء الرقباء والشرطة لمعرفة متى يغادرون فرحا بذهاب المجرم منهم واسفا على رحيل الجيد او الذي مل من الضرب والتعذيب "فتحسن". كان تدريب الشرطة يبدا بالتفرج اولا ثم ممارسة ضرب المصاطب الحجرية في مدخل الباحة الخامسة ثم يبدؤون بالسجناء.

١٩ كانون اول ١٩٨٨

هذه الايام اتى رقيب جديد وكنت ادخل الخبز عصرا منذ شهر فسحبني جانبا وصفعني. دخلت الى المهجع وانا ابتسم: ياشباب هاد مابيعرف يضرب كفوف، ايدو متل الريشة. اليوم كنت ادخل من التفقد وكالعادة اعطيت ظهري للضرب لكن ضربة واحدة من ذلك الرقيب جعلتني اصرخ بالمقلوب. كانت قضيبا مصمتا من الحديد بقيت اتالم منها لسنوات مع اشتداد البرد.

٣١ كانون اول ١٩٨٨

ساد ضرب مبرح لرؤساء المهاجع مساء بعيد ادخال مرقة العشاء. سقط على اثرها رئيس مهجعنا ابو حسين من حلب في غيبوبة. مع منتصف الليل توقف قلبه فاسرع المسؤول الصحي فيصل من حماة وهو مختص من سويسرا لثقب صدره بابرة وخزت قلبه فماكان من ابو حسين الا ان شهق بنفس طويل وبصوت عال كمن عاد اليه الهواء بعد اختناق، عاد ابو حسين الى الحياة بفضل حسن تصرف الدكتور فيصل.

٣ كانون الثاني ١٩٨٩

قرئت عدة أسماء ليلا من بينها محمد عيد عباسي، مصطفى حوا وابو انس من دمشق علمنا فيما بعد انهم قابلوا زهير الشاويش احد قيادات تنظيم اخوان دمشق مع اللواء حسن خليل. حسن خليل يقول للحاضرين: عدنان عقلة عندنا مقرفص بزنزانته متل الكلب وسعيد حوا فطس بعدماالف كتابه: تجربة فاشلة وشهادة كاذبة. كالعادة تحليلنا الاوحد: مفاوضات.

١٦ كانون الثاني ١٩٨٩

كان يوما غائما باردا. شوهد رئيس السجن غازي الجهنة يقف طويلا امام مهجع ٢ وهو يؤشر بيده، ثم سمعنا صوت دق على بواري المياه في الحمامات في الباحة الثانية. دب الرعب في المهجع بين الناس فهذا مؤشر على تجهيز الحمامات للاستعمال بعد توقف منذ صيف ١٩٨٤. وفعلا بدأت المهاجع تساق بدءا من مهاجع الباحة السادسة وهم عراة الا من الشورت يغطون اجسادهم ببطانية مدلاة فوق الراس.

١٧ كانون الثاني ١٩٨٩

كان رعبنا لايوصف ونحن ننتظر دورنا للخروج ولانعلم ماذا ينتظرنا وهل ستستمر الحمامات ام ان الامر مؤقت؟ فتح الباب وخرجنا كل يحاول ان يرى طريقه تحت البطانية المدلاة فوق الراس وبالوقت نفسه ممسك ببطانية الذي امامه. نرمي البطانية جانبا ونركض عند الامر الى داخل مقصورات الحمامات المفصولة عن بعضها بجدران عالية يقف فوقها الشرطة وبايديهم الكرابيج ويامروننا بالاستحمام ٣ او ٤ سوية تحت الماء بدرجة الغليان والكرباج يلسع. دقيقة مضت كدهر ثم ياتي الامر بالخروج ووضع البطانية ثانية للانتظار في الباحة

الثانية ريثما ينتهي المهجع من الاستحمام. وضعنا النفسي لايوصف فقد عادت ذكريات الحمامات وتعذيبها الى السطح وبتنا في حالة ترقب لنوع التعذيب الذي ينتظرنا

١٩ كانون الثاني ١٩٨٩

اخرجونا ثانية للحمام ووزعونا فرادى بعيدا كل عن الاخر بمتر. كل منا جاث على ركبة واحدة ومغط راسه ببطانيته والشرطة تدور بكرابيجها بيننا.

يبدأ شرطي لعبة التسلي بالسجناء. شو شعورك ولا قبل الحمام؟

يجيب احد السجناء: شعور النظافة والامان.

اكشف عن ضهرك ولا. ويبدا الجلد على الظهر العاري.

ينتقل السؤال الى سجين آخر: شو شعورك ولا؟

يجيب: خيفان ياسيدي والله خيفان. اكشف عن ضهرك ويبدا الجلد.

بدا ذهني يتسارع للبحث عن جواب مقنع قد يجنبني نفس المصير. شو شعورك ولا؟

ماعندي شعور سيدي.

فالتفت الى شرطي بعيد صائحا: لك تعا شوف هدا عديم الاحساس، اكشف عن ضهرك ولا.

كرباجان فقط. كنت على توجس دائما ان اجلد عاري الظهر منذ ان رايت لحم الاخ ابراهيم اثر ضربه عاري الظهر منذ اربع سنوات. كنت انجو في كل مرة وبقي لدي شعور انني ساذوق كل ماذاقه اصدقائي ولكن بشكل مخفف. او على الاقل كل منا كان يشعر ان هناك الطافا تحيط به وان مصيبته اخف من غيره

٢٦ كانون الثاني ١٩٨٩

مر طبيب السجن على المهاجع يسأل: عندك جرب ولا؟ أجبنا بالنفي. الآن علمنا سبب الحمامات وهو الجرب والقمل الذي اتى مع السجناء اللبنانيين من المعتقلات وفروع التحقيق. بقينا على توجس وخوف دائم لأسابيع رعبا من عودة الحمامات خاصة عندما نسمع الدق على بواري المياه..

مع بداية الربيع كانت هناك حادثة لها مغزى ومؤشر كبير عما سينتظرنا هذه السنة. كان هناك عش للعصافير على حائط المهجع ٨ في الباحة الثانية وكنا نستطيع رؤيته بوضوح من الشبابيك الوسطى في مهجع ٤. كان بعض الشباب على تفقد دائم لما يدور في ذلك العش من زواجات وولادات وزوار او حتى نوع الطعام الذي يجلبه رب الاسرة العصفور. احد الايام رايت اصدقائي متجمعين باكرا يراقبون بغضب مايجري في بيت اصدقائنا العصافير. كان هناك عصفور جديد شرير ضخم يحاول طرد اصدقائنا من عشهم. دام الصراع حوالي الساعة وسط الزقزقات وتطاير الريش وغضب اصدقائي من عدم القدرة على التدخل لفض الاشتباك وطرد المعتدي. كان الاحباط كبيرا عندما استطاع العصفور الشرير طرد اصدقائنا من بيتهم. لم نعد ننظر لذلك العش كما كنا. اصدقاؤنا رحلوا.

٢٠ آذار ١٩٨٩

عند الصباح الباكر قرئت اسماء بصوت خافت على الباب. اليوم اعدام. الجديد في الامر ان صديقي سعيد كان من بين الاسماء. بعد ان اعطاني ثيابه وودع المهجع بكلمة ثابتة مؤثرة ووقف بجانب الباب ليخرج للاعدام، لم يات الشرطة لأخذه. دام الانتظار طويلا. نزلت لجنة الضباط الى الباحة السادسة للتنفيذ. تراكض الشرطة امامهم. غابوا بمقدار اعدام عشرة اشخاص ثم عادوا وصديقي ينتظر واصبح كانه معلق بين الحياة والموت. عادت الشرطة بقوائم اسماء جديدة كان من بينها اسمه واسمي والكثير ممن دخل معنا تدمر. انها المحاكمة الثانية. يبدو انهم ادخلوا اسم صديقي بقوائم الاعدام للتمويه او بالخطأ. خرجنا مطمشين الى باحة الذاتية وجلسنا طويلا على الارض الباردة الاسمنتية. برودة الربيع في كل مكان. هدوء كامل باستثناء صوت شرس خفيض يامر باغلاق الاعين تحت الطماشة. مرت

ساعات وساعات حتى جاء دوري لادخل ذات الغرفة التي كنت فيها منذ ستة اشهر كانت الاسئلة مكررة وكانه يتم التاكد من ما كتبه رئيس الفرع عني. هل كان بامكاني الانكار. نعم والنتيجة واحدة. لم اكن على استعداد لتحمل ولاحتى صيحة او شتيمة زيادة. الاعدام اسهل. لااعرف نتيجة الحكم وبات علي من الان فصاعدا ان اجهز نفسي رسميا للاعدام كلما قرئت اسماء على الباب.ماإن عدنا من المحكمة الا وفتح الباب على غير العادة لتنفس العصر وكان ظهري لايستطيع حملي من شدة الم الجلوس الطويل. أصبح واضحا أن هذه السنة فيها تنفس وقت العصر مثل سنتي ١٩٨٥ و ١٩٨٧.

ماإن دخل رمضان الا وبدأنا نسمع صوت مطارق هد ولم نستطع التأكد في البداية. تبين انها معول لفتح نوافذ في سقوف المهاجع القديمة. موجة خوف جديد فهذا يعني ان التعذيب الليلي سيمتد من المهاجع الجديدة في الباحتين السادسة والسابعة لتشمل مهاجع الباحات المتبقية. وبات الناس يتنافسون في قيام الليل للصلاة ونقول لبعضنا "اكسبوها ياشباب قبل ماتصير الصلاة ايماء". استغرق فتح النوافذ السقفية طوال شهر رمضان وكنت اقرأ وأنفخ الآية من سورة المؤمنون "وجعلنا السماء سقفا محفوظا" على سقف المهجع عله ينجو من فتح النوافذ. فعلا فتحت نوافذ السقوف في جميع المهاجع الا مهجعنا وايضا استغرقنا وقتا لنصدق اننا نجونا. علمت السبب فيما بعد ان ضعاف النفوس والسييئين من السجناء الذين نقلوا الى صيدنايا لم يبقوا سرا مخبأ لنا في تدمر فتكلموا عن الصلاة والمحاضرات الدينية والتطوع لفداء بعضنا بعضا ان طلب احدنا للتعذيب. فلجأت ادارة السجن كخطوة اولى الى فتح السقوف لمراقبة السجناء وتعذيبهم ليلا ونهارا. وبدا واضحا أيضا انتشار قانون ليس بالجديد للتعذيب وهو قانون المعلّم والمعاقب والابدي. صارت الشرطة تطوف ليلا على المهاجع واي انسان يلمحونه يتقلب اثناء النوم او زحلت طماشته عن عينيه او كان في دورة المياه وتقول للحارس الليلي "هاذا معلم او معاقب او معلم ابدي او معاقب ابدي"كما يحلو لمزاج الشرطي او الرقيب. في اليوم التالي عند الصباح وقت ادخال الفطور او اثناء التنفس، يطلب الضحايا ليذوقوا من اصناف العذاب والضرب المبرح كما يحلو للشرطة. هذا النظام بدأ رسميا مع أواخر ١٩٨٦ عندما اتوا بدفعة سجناء كانوا متهمين بتفجير الباصات في نيسان ١٩٨٦. يبدو انه كان الهدف قتلهم بالضرب يوميا في الباحات بدل المشانق فاستشهد قسم منهم في الباحات من خلال التعليم الدائم واعدم الباقي شنقا وبقي النظام ليشمل جميع السجناء. كان التعليم قاسيا لان المعلم سيبقى متوجسا لايأكل ولايشرب وان كان التعليم اوالعقوبة ابدية فهذا يعني ان هذا الشخص سوف يضرب مع كل فتحة باب وهذا يجعل الشرطة تعرفه شخصيا فبات من الصعب فداؤه بالخروج للضرب عوضا عنه. أضف إلى ذلك أن الأجساد ضعفت والهمم أيضا ومع ذلك فقصص التضحية والفداء لم تتوقف.

٥ أيار ١٩٨٩

تمت محاكمة شباب الطليعة المقاتلة هذا اليوم وكانوا حوالي ٦٠ شخصا منهم اصدقائي الذين كانوا معي في مهجع ١٥. كان الناس يتحدثون ان الاعدام لن يطول بعد المحكمة وعليه فان امامهم ٤٠ يوما على قيد الحياة حسب نظام الاعدامات الكثيفة في فترة ماقبل ١٩٨٣. بدءا من هذا اليوم بت ادعو الله ان يأخذني معهم فقد طال المقام في هذا المكان.عاد التنفس بعد انتهاء فتح السقوف وكان صباحيا فقط وكان وضع السجن وشراسة المعاملة يسوء يوما بعد يوم. رقيبان سيدخلان قاموس السجناء كأعظم الشرطة اجراما وهما أبو البورية وأبو الشياب حسب تلقيب مهجعنا. أبو البورية رقيب علوي قوي البنية وكانه كان يلعب رياضة كمال الاجسام. لاتعرف الرحمة اليه سبيلا وكانت هوايته الضرب بقضيب حديدي نصف متر طولا. مرة كنت ادخل الفطور صباحا فرفسني على وجهي رفسة لو لم تخطئني يعلم الله نتيجتها. أما أبو الشياب فرقيب آشوري من منطقة الحسكة وكان أشقر عظيم الجثة ولذا كان لقبه الأول الدب القطبي لكن لقب ابو الشياب غلب عليه فيما بعد لانه كان يستهدف السجناء واضحي الشيب وكبار السن. كان صوته رفيعا لايجاري ضخامته ويحب ان يتكلم العربية الفصحى.

٢٩ أيار ١٩٨٩

كانت هناك حركة فرط مهاجع في السجن وأتوا إلينا بعدة أشخص من مهجع ٢٧ منهم والد وولداه من ادلب وقد اعتقل الوالد بعد ولديه ب ٦ سنوات ليجتمعا صدفة بعد سنين وكان يظن انهم اعدموا.

٤ حزيران ١٩٨٩

كان التفقد مشهودا هذا اليوم وما مر علينا مثله. كان تفقد السجن كاملا يستغرق نصف ساعة لكنه استغرق ساعتين هذا اليوم. عادة يبدأ العد بمهجع ٣٨ من الباحة السابعة وينتهي في المهجع ١١ من الباحة الثانية فكنا نجهز انفسنا للتفقد بالجلوس خمسة خمسة وقت نرى الرقباء يمرون من باحتنا الى الباحة الثالثة وذلك بالنظر من شقوق الباب. كان يوما حارا وكنا نسمع صياحا غير معتاد يتبعه تراكض ثقيل

وبدأت الأصوات تقترب. خرجنا للباحة وكان كل شيء كالعادة لكن ماإن جاء الأمر بالعودة للمهجع حتى بدأ ضرب الكرابيج بحقد لايوصف على الاوجه والأعين. وكان وجوه بعض الاخوة وورم العيون يفوق الوصف. علمنا فيما بعد ان اليوم هو يوم وفاة الخميني!

١٠ حزيران ١٩٨٩

كان الاسلوب المفضل لدى أبو الشياب ان يربت بلطف على كتف الضحية و نحن جلوس على أرض الباحة مغمضي الاعين والايدي معقودة للخلف. ثم يامر الضحية بالاستلقاء بتأن على ظهره وهو مغمض العينين ويداه لاتزال معقودة تحته ثم يقفز قفزة واحدة بثقله الهائل فوق البطن. الكثير مات هذه السنة بهذه الطريقة نتيجة تمزق الاحشاء ويقدر عددهم على يد ابو الشياب فقط ب ٥٠-١٠٠ سجين. الذي لم يمت يؤخذ الى المستشفى العسكري بتدمر لليلة واحدة فقط برحلة ملؤها العذاب في سيارة النقل وفي المستشفى. كان اليوم هو اللقاء الوحيد مع ابي الشياب حيث امرني على غير عادته ان استلقي على بطني وقام بقفزته المعتادة لأصيح بصوت مكتوم. لاأظن جسمي الهزيل كان سيتحمل قفزة البطن.

٢١-٢٧ حزيران ١٩٨٩

توقف التنفس تماما هذا الأسبوع وشاهدنا رئيس السجن العقيد غازي الجهنة ينزل الى باحات السجن برفقة محمد نعمة ويتأمل طويلا بالشبابيك يمنة ويسرة وكان يشير بكعب قدمه ويضرب به الأرض. عرفنا معنى هذه الحركة في أجسامنا في الأيام المئة القادمة والتي أصبحت تعرف ب "أيام الموت".

٢٧ حزيران ١٩٨٩

كان الحر يشتد وتشتد معه الأوضاع في السجن بشكل لايحتمل وكان قدوم الليل منذرا للحراس الليليين بان الكثير منهم سيعلم ليضرب في اليوم التالي وهذا ماحصل الليلة الماضية حيث علموا اثنين من حراسنا وهم لؤي وأبو صبري وكان الضرب مبرحا بالدولاب حيث عددنا على الأقل ٣٠٠ كرباج حتى تفتح باطن القدمين وبدا اللحم. كان الرقيب المشرف أبو البورية وبعد أن انتهى من ضربهم في الخارج لحقهم الى داخل المهجع وقال "هذا مجرد تنبيه ولا". لم يتعاف أبو صبري على إثر هذه الحادثة وبات لايستطيع السير على ساقيه إلا بمساعدة وبتنا نبقيه داخل المهجع بالتفقد والتنفس بعد أن كان يضحي بنفسه في سبيل الآخرين.

١ تموز ١٩٨٩

كانت المؤشرات كلها تصب في أن أياما قاسية بانتظارنا وحتى مناماتي منذ أول العام كانت بحارا مظلمة وغيوما داكنة. وكان رعبا عظيما عندما أخرجونا إلى التنفس عصرا. كان ضابط أمن السجن محمد نعمة في الباحة وبلباس عسكري جديد وعلى عضده الأيسر إشارة رتبته الجديدة، مساعد. كان يمسك ببورية مياه أطول منه وكان يدقها على الأرض وأمرنا أن نلم الحصى من الباحة دون أن يضربنا أحد. بدءا من هذا اليوم أصبح التعذيب لايطاق ليلا ونهارا وكان الضرب بالعفس بالبسطار العسكري أو بالرفس على كل مناطق الجسم وأصبحت خياطة الجروح بإبرة الخياطة أمرا اعتياديا إثر كل فتحة باب. كانوا يخرجوننا تماما بدءا من ٩ صباحا و ٥ مساء لنبقى تحت التعذيب نصف ساعة. كانوا يأمروننا أن نرش الباحة ببدونات الماء ثم نخرج بسرعة كل خمسة ممسكين بايدي بعضهم البعض لنجلس فوق حفر الماء وندفن رؤسنا للأرض تقريبا ثم يبدأ انتقاء الضحايا للضرب والعفس والرفس. صرت أصلي ركعتي الشهادة قبل كل فتحة باب وصرت ترى الرجال تبكي مما نحن فيه من البلاء. كان وقت العصر أثقل علينا من الصبح وأشد تعذيبا وكنت أمضي الوقت بقراءة القرآن مع صديقي مازن بتأن وتنغيم بينما الصراخ يتعالى في الباحات.

١٠تموز ١٩٨٩

كان يوما من أصعب أيام السجن فقد أصيب أكثر من نصف المهجع البالغ عدده ١٣٠ سجينا بكسور مختلفة فقد كسر ٣٦ في تنفس الصباح و٣٨ في تفقد المساء. أحد أصدقائي من دمشق حاولوا فتله لكسر عنق الفخذ فكسر عظم الترقوة بدلا عنه. كان الكثير من الشباب الشجاع يخفي إصابته ولكن تستطيع التحقق من ذلك من خلال عدم قدرتهم او بطئهم في الركوع والسجود. بقيت خمس سنين أرفض فكرة انني سأموت هنا وكنت دائما أفكر بإخلاء السبيل. أما وقد أصبح الموت قريبا فقد كان علي أن أتجهز للموت دون التخلي عن تفاؤلي. خرجت بنتيجة اطمأننت لها وهي ان احتمال الخروج للاعدام يساوي احتمال الخروج من السجن ولايرجح أيا من الاحتمالين إلا الله. لاشك أنه تناقض الطبيعة البشرية الضعيفة فكنت أصلي ركعتي الشهادة وأدعو الله أن أخرج للإعدام مع أصدقائي نهاد وفهد ومحمد لكن في الوقت نفسه لاأريد أن أموت هنا. كانت راحة نفسية كبيرة وصلت إليها وصرت أقوم لصلاة الليل بابتهاج وبكاء.

٢٦ تموز ١٩٨٩

كنا في التفقد وكان توزيع الطعام على قدم وساق عندما سحب أخ من اللاذقية اسمه محمد. محمد مهندس مدني مرح وشجاع لكن صلعته كانت سبب متاعبه مع الشرطة. سحب من الصف وضرب ضربا مبرحا أغمي عليه إثرها. صبوا على رأسه المرقة الساخنة حتى يفيق. كنت أنظر خلسة إليه وهو على الأرض وأنا أنتظر دوري إذ عيناي مكشوفتان لهم ولاأستطيع إغماضهما عندما أتشنج. بدأت الناس تتساقط الواحد تلو الآخر وأصبح تغيير رؤساء المهجع يتم اسبوعيا بعد أن كان فصليا. وكان طبيب السجن يمر يوميا على المهاجع بعد تفقد الأقفال: شو في عندك حالات ولا؟ وكأنه إحصاء لعدد الضحايا. كثر الطعام أيضا مع تزايد التعذيب وكان علينا تصريفه عبر دورة المياه بخلطه بالماء. كانت البواريد الروسية تلقم عند كل فتحة باب وكان نداءهم المفضل عندما يأمروننا بالمشي "أي حركة غير طبيعية بتكلفك حياتك"و "النملة أسرع منك ولا". كان السلاح الوحيد هو قراءة القرآن وكان من عادتي أن أقرأ جزءا من القرآن لمعرفة أيام الشهر وذلك صباحا قبل فتح الأبواب وبذلك حافظت على دقة حفظي أما هذه السنة فكنت أقرأ بنأن طوال اليوم أملا إن مت مت وأنا أقرأ القران وكان ذلك أيضا أثبت للقلب وأبعد للخوف.

١٥ آب ١٩٨٩

كنا في انتظار التنفس وكنت قد وصلت إلى قوله تعالى "ألم تر إلى الذين يجادلون في أيات الله أنى يصرفون" وكان الجو حارا وكانت الناس تذهب وتجيء لإلقاء نظرة على الوقت في ساعة اليد المعلقة داخل المهجع. إذ قرئت أسماء معظم شباب الطليعة للإعدام. كان مصطفى زلخي (أبو حمود) من جسر الشغور الوحيد منهم في مهجعنا. لم يرد أن يودع أحدا قبل أن يخرج. كنت متلهفا لرؤية صديقي نهاد لإلقاء النظرة الأخيرة عليه وهو يخرج من المهجع المقابل. كنت أنظر من شق الباب السفلي عندما خرج أصدقائي جميعا وكان نهاد رافع الرأس ممسكا بخصر من أمامه. تذكرت بيتا كان ينشده دوما بصوته الجميل

ومن نزلت بساحته المنايا فلاأرض تقيه ولاسماء

استمر الإعدام حوالي السبع ساعات قبل أن تعود الشرطة من جريمتها. أصابتني حالة من الحزن لم أجد لها فكاكا وكنت أخفي رأسي بين ركبتي حتى لايلاحظني أحد. وجدت تفسيرا أراحني فيما بعد وهو اننا عندما نبكي على من نفارق فإنما نبكي أنفسنا أن بقينا وراءهم ولم نذهب أيضا، ربما نوع من الأنانية. وعلى كل هناك يوم قيامة وهناك لقاء فلم الحزن. هنا قفز تفكيري وماذا لو أخلي سبيلي وعشت دهرا وتغيرت حالتي الإيمانية لأجد أن أصدقائي هم أعلى مرتبة مني في الجنان هذا إن كتبت لي الجنان أصلا. أبتسم لبعد النظر الذي كان لدي حيث كنت آخذ عهدا ممن أحب أن يشفع الأعلى للأدنى حتى نكون في جنة واحدة. وهنا أيضا لاحظت أن الناس تفرض نفسها على ذاكرتك فلايمكنك ان تنسى الأفضل ولاالأسوأ. نهاد فرض نفسه على ذاكرتي كأفضل من قابلت وأذكر أنني كنت أمسكه من خناقه مازحا: نهاد مضى علينا سنون ولم نختلف ولاحتى نتجادل؟ يجيب مازحا بقبضته: دعنا نبدأ بلهجة حلبية محببة. فعلا لقد قابلت أناسا في القمة وسترى معدنهم الصافي في أوقات صعبة كأيام تدمر. كنا نتبادل قصص حياتنا وأسرنا كل ليلة ونبتهج لتكرارها وأوصاني بزيارة أهله في حلب لكن لم يتيسر لي ذلك عندما أخلي سبيلي بعد ٧ سنوات على استشهاده.

٢٢ آب ١٩٨٩

جلال، طالب هندسة من دمشق، ضرب ضربا مبرحا كاد أن يموت ولم أتعرف إلى وجهه عندما عاد من التعذيب وقد كسروا له أربع أضلاع دخلت إحداها في رئته. كان شابا رائعا مضحيا قليل الكلام دائم الابتسام وما من مرة فتح الباب إلا وكان أول من يخرج. كان الخوف حقيقيا ألا يعيش لكنه تعافى. كان الذي ضربه أبو البورية وعندما تعافى جلال تماما وعاد إلى حراسة الباب، كنت أعرف أن أبو البورية في الباحة من انطباع القلق على وجه جلال.

٣٠ و ٣١ آب ١٩٨٩

لم نعرف لم توقفوا عن التنفس هذين اليومين لكن كانت راحة كبيرة لنا وظن البعض أن التنفس المسائي توقف لكنه عاد ليتتابع كما كان.

١٥ أيلول ١٩٨٩

أعادوا الأخ محمد وهو محام من دمشق وهو الذي كسر عنق فخذه قبل عام، عاد من سجن صيدنايا وقد ركبوا له سيخ حديد في فخذه وبات يستطيع المشي ولكن بعرج واضح وألم يشتد بين فترة وأخرى. كنا في التنفس وقد استدعاني شرطي لضربي وعندما أمرني برفع

رأسي للصفع، كنت أحس خيال يده وهي ترفع، إذ ناداه شرطي آخر "بلد" فأمرني بالعودة إلى الصف ونجوت. هذه الحادثة وحوادث أخرى مماثلة كانت تؤكد أن السجن يسير مثل الساعة وبأوامر دقيقة عليا.

٢١ أيلول ١٩٨٩

استدعى ضابط أمن السجن رؤساء المهاجع إلى مكتبه في باحة الذاتية وأبلغهم بأن عليهم أن يبلغوا عن أي مخالفات مهما كان حجمها وإلا. أعقب ذلك ضرب جميع الباحات عصرا ببورية مياه. كنا نحس بأن أمرا مرعبا يحصل من نوع الصراخ الذي يصل إلينا من الباحة الثالثة.أتى دور باحتنا مع الباحة الثانية اليوم. كان دوري على طرف الصف المواجه للشرطة وكان التنفس عصرا. مروان كان بجانبي، طبيب من حمص وشاعر مبدع، فدفعني إلى الداخل ونحن نخرج من الباب فماكان ممكنا مقاومته وأصبحت تحت الأمر الواقع. ماإن جلسنا حتى بدأ التعذيب فأصابه كرباج على الوجه. أصبح مروان شبه معاق بعدها وكان لايستطيع الثبات على قدميه عند الوقوف فترى كل جسمه يهتز. أخرجوا المهجع الذي بعدنا وكنت أنظر من شق الباب فرأيت بورية الحديد قد كسرت على ظهورنا وكان الشرطي يحملها وقد طويت وتشققت. تذكرت بيتا لقصيدة تدمرية رائعة حفظتها في فرع حماة وقت اعتقلت

لان الحديد ومالانت عزائمنا والقلب ذو ثقة بالله مالانا

عندما انتهى التنفس فتح بابنا فجأة فتراكضنا ظنا انه خروج اخر للتعذيب.

طالع بدونات مي ولا

أسرع عماد، طالب من اللاذقية، وسمير، طالب من ادلب، بحمل بدونات الماء والخروج للباحة. عادا منهكين بعد دقائق مرت كزمن طويل. كان عماد يتراقص فرحا وكأنه عاد للحياة ثانية. قال لي"أبو ذر، الباحة كلها دماء وقد أمرونا بغسلها كاملة"

١ تشرين الأول ١٩٨٩

توقفت تنفسات العصر هذا اليوم والحمد لله موقفة بشكل غير معلن أيام الموت المئة. الجديد خلال هذه الأيام أن الشرطة أتت إلينا ثلاث مرات بنشرات مطبوعة من عدة صفحات لقراءتها ثم إعادتها آخر اليوم. كانت هذه النشرات على مايبدو من إدارة التعبئة والتوجيه والتي يقصد بها الجنود ولاندري لم وجهت إلينا وهم لايعترفون لا بارائنا ولا حتى بوجودنا. كانت تتكلم عن ميشيل عون وخيانته والنظام العراقي وتآمره على سورية. وماعلاقة سوريين متهمين اسلاميا بجنرال مسيحي لبناني! تم ذلك في ٢٧ حزيران و١٧ آب و١١ تشرين الأول.

١٠ تشرين الأول ١٩٨٩

بدأ المهجع والناس تتعافى تدريجيا إثر انتهاء تنفسات العصر وأصبح الوضع نوعا ما أخف. قبل التفقد كان هناك حراك في المهجع وكان هناك نقاش بين رئيس المهجع، ياسر ، طالب ثانوي من حلب، وأيمن، مجند وحدات خاصة من دمشق. كان أيمن يهدد أنه إن لم يتخل ياسر عن رئاسة المهجع له فسيخرج للشرطة واتهام المهجع بدروس وتنظيمات.. ماإن خرجنا للتفقد إلا وسلط الله على أيمن الرقيب الاسترالي، سميناه لشبهه بسكان استراليا الأصليين. كان هذا الرقيب مختصا بالضربة القاضية. كان يأمر الضحية برفع الرأس ثم يضربه بقبضة يده على الصدغ فيخر الشخص جثة واحدة ويرتطم مؤخر الرأس بالأرض لينشق الرأس ويصاب بالاغماء. يأمر اثنين بحمله إلى داخل المهجع وقد أصيب بارتجاج دماغ يستغرق أسابيع ليتعافى. هذا ماحصل مع أيمن. كانت آية ربانية إذ أن الناس لاتزال في هلع من أيام الموت وليس بها قدرة على تحمل بلاء جديد.

٢٤ تشرين الأول ١٩٨٩

الرقيب الصومالي، سميناه بذلك لسواد بشرته، كان أفضل من غيره من حيث المعاملة وكنا نستبشر بنوبته في التنفس، لكنه اليوم أمر بضرب شخص من مهجع ٣ حوالي ٤٠٠ كرباج لأنه نسي أن يلتقط حصاة من أرض الباحة. كان تنظيف الباحة من الحصى أمرا دوريا.

٢٢ تشرين الثاني ١٩٨٩

دفعة الإعدام هذا اليوم هي من أكبر الدفعات خلال سجني. فقد أعدموا حوالي ٩٠ شخصا منهم مجموعة من شباب الرستن، المدينة في الوسط بين حمص وحماة وكان من بينهم ابن أخت مصطفى طلاس وزير الدفاع وكان أيضا من بينهم صديقي وليد أبو صالح. وليد كان

شابا راقيا لبقا من حلب وله بنت صغيرة كان يذكرها بحنين دائم وكان قد جهز دشداشة بيضاء ليوم الإعدام الذي ارتقبه مايقرب من عقد من الزمن. كنت أراه يعتني بهذه الدشداشة ولايلبسها أبدا إلا أيام الأعياد فقد خبأها لهذا اليوم، رحمة الله عليك ياوليد.

٢٩ تشرين الثاني ١٩٨٩

إعدام حوالي عشرة أشخاص منهم غازي الطحش وأبو عبيدة، شابان من قرى ادلب كانا معي في مهجع ١٥.

٣١ كانون الأول ١٩٨٩

في تفقد آخر يوم من السنة خرجنا للعد اليومي. كان دوري على الطرف. يقترب مني الرقيب الاسترالي ويامرني ان أرفع رأسي ليضربني على رأسي بضربته القاضية المعتادة. حاول معي عدة ضربات ولم ينجح. يبدو أنو راسي يابس زيادة عن اللزوم. في الختام رفسني على الخصيتين وقال: أنا بفرجيك ياكلب. لمحته يذهب إلى مهجع ٢ الواقف في منتصف الباحة وهو يحاول مع شخص آخر. علمت فيما بعد عندما التقيته أنه حسان، دكتور من خان شيخون قرب حماة. وقع حسان مباشرة من الضربة الأولى وشج رأسه وسالت الدماء على الأرض. واحد يجيب مي ولا. ركض مرعي الحسن، طالب سنة ثالثة هندسة زراعية من ادلب ليجلب بدون الماء لمسح اثار الدماء على أرض الباحة. وهو يرش الماء أتت بعض نقاط الماء على بنطال أبو البورية فيرفسه رفسة واحدة على قلبه فيخر إلى الأرض ليموت بعد دقائق داخل المهجع. أتبع حادثة قتل مرعي الحسن تحقيقات لعدة أيام عن سبب الوفاة. يبدو أن القتل حدث خلال أيام ممنوع فيها القتل ولهذا حدثت التحقيقات.

كان باب مهجع ٢ يفتح ويغلق ليأتي بالشهود إلى مكتب ضابط أمن السجن محمد نعمة.

كيف مات مرعي الحسن الله يرحمه؟ تعددت الأسباب والموت واحد

سيدي تزحلق بالباحة

ارجع عالمهجع ولا

يتبع ذلك ضرب مبرح للمهجع ٢

تعود التحقيقات

كيف مات هادا ولا؟

سيدي تزحلق على باب المهجع

ارجع عالمهجع ولا

ضرب مبرح للمهجع ثم تبدأ التحقيقات

كيف مات هادا ولا

سيدي تزحلق جوا المهجع

ارجع عالمهجع ولا

ضرب مبرح للمهجع ثم تبدأ التحقيقات

كيف مات هادا ولا

سيدي تزحلق بالحمام

ليش ولا..ليش مامنجبلك صابون كافي..ليش ماتقول ولا

وهكذا انتهى التحقيق وطوي الملف

أرى في المنام أني أدخل ووالدتي إلى مصر. أولتها بقوله تعالى:ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين. أمان قادم إن شاء الله ولم يدر بخلدي أن هذا الأمان القادم سببه موت أخ عزيز وهو مرعي الحسن. توقف الضرب تماما والتنفس للأشهر الأربع القادمة وخلالها أيضا أصابت السجن موجة كوليرا مما أخر التنفس لأيار وكانوا يأتون بالكثير من البطاطا والشاي لمعالجة حالات الاسهال المتفشية بالسجن.

المهجع غني بالشعراء والمثقفين ومتميز بذلك عن المهاجع السابقة. صديقي بكري, طالب بكالوريا من حلب, كان شاعرا مجيدا ومنشدا عذب الصوت وذو نكتة لاذعة وبديهة حاضرة. تعلمت منه أصول النغم وحفظت منه الكثير من الشعر.

الريح والإعصار والتدمري النار

وثورة في دمائي يمور فيها الثار

أنا الأسير أنادي والقيد يدمي فؤادي

أورى عروقي غيظ ولهفة للجهاد

ياشمعة تستنار كم يصعب الانتظار

تقسو علينا الليالي وتصدق الأقدار

أقرضت ربي قرضا جزاه حورا وروضا

رباه خذني شهيدا برا لعلك ترضى

والفجر يمشي الهوينا يرسل خيطا إلينا

أن سوف يغدو القصاص فقد غدا الدم دينا

وحفظت منه أيضا في وصف السجن والسجان ماكان يبكيني عندما أردده وكنت أدعو ببعض أبياتها أثناء اللحظات الحالكة لسنة 89

جدث إذا حل المسا سكن المنية والأسى

لم يروه جرح السجين لدماء طهر قد حسا

بالسوط يعمل دائبا نهما تراه وقد قسا

ألف المجازر ويله والله يعلم ما رسا

ضاقت بنا الدنيا فلا   قيدا نطيق ولافلا

ذكراك تدمر في الفؤاد   ذكرى المحبة والولا

ورد عبيق ريحه   من أسود يعلو الظهور

مسك شذاه إذا سرى   أبكى الجماجم في القبور

رباه عدنا نرتجي   رحماك فامنن ياغفور

فلنا ترق وتشتكي   صم الحجارة والصخور

أبرار تدمر في الثرى   والله يعلم ماجرى

والله منجز وعده   صبرا أخي لما ترى

ومن قصائده التي أعطاها لحنا متميزا لايستطيعه إلا منشد من حلب

في رياض الصالحين

كم يذوب القلب اه

وتبيت الروح نشوى

كيف تحيا أوتلين

إن قول الصحب يوما   قبلهم نادى الأمين

بدأ الدين غريبا   وبكم سار السفين

بين لج البحر يوما   وجبين الدهر حين

أين عمار وعمرو   قلب سل تلك الرمال

كم تلظى في رحاها   حامل للذكر تال

ومسجى في ثراها   صدق الوعد فنال

حادي العيس تمهل مذ أتاك الصب يسأل

فلقد بايعت ربي هاهنا بالسهم أقتل

يارسول الله إني وله والصب يعجل

من لنا إلاك ربي يغفر الذنب ويقبل

مسنا الضر وأهلا وبك المكروب يسأل

فارحم اللهم أسرى بلظى والدرك أسفل

٢٥ كانون الثاني ١٩٩٠

أتى المساعد بأوراق مجدولة وأقلام وأمرنا بملئها بالاسم والمواليد وتاريخ التوقيف وتاريخ دخول تدمر. كان هذا مؤشرا أن أمرا يجري عن مصير السجناء

أواخر شباط ١٩٩٠

تم استدعاء أصحاب الزيارات (الذين زارهم أهلهم في السنوات الثلاث الماضية) وهم ندرة إذ قلما أتت زيارة أهل لسجين منذ ١٩٨٤ إلا أصحاب الواسطات مع حافظ الأسد، إلى مقابلة مع رئيس السجن غازي الجهنة الذي ترفع إلى رتبة عميد. بعد أسبوع تم استدعاء كل أصحاب الزيارات وكانوا أربعة، سامر من دمشق، دكتور أسامة من اللاذقية، محمد وأحمد من درعا. ماإن عادوا إلى المهجع إلا وأخذوهم ثانية لمقابلة لجنة ضباط أتوا من دمشق. كانت الأسئلة تدور عن وضع السجناء في المهاجع، طريقة تفكيرهم، جماعات التكفير والهجرة، روح الانتقام لدى السجين، أي دروس أو تنظيمات أو محرضين في المهاجع..الخ. أصبحت هذه التحقيقات أسبوعية حتى نهاية العام وغالبا أيام الأربعاء وكثيرا ماأعقبها تعذيب بالدواليب لبعض من ذكر في هذه التحقيقات.كانت الاختلافات المذهبية واضحة في السجن وكانت تزداد عمقا مع طول مدة السجن. ففي مهجع ١٣ كان هناك المتصوفة وأهل الطرق وفي مهجع ١٥ كان هناك بعض من السلفيين أو اللامذهبيين. الجديد في مهجع ٤ أن بعض السلفيين اعتنق فكرة الغاء السنة والحديث وأصبح لايؤمن إلا بالقران فسميناهم القرآنيين. كانوا خمسة أشخاص وكانوا يأكلون سوية ويصلون سوية ولايصلون معنا وكانوا يعتقدون أن صلاتنا باطلة وأننا كفار. اثنان من هؤلاء ادعى النبوة واحدهم شخص طيب ومضح من ادلب ولكنه شارف على حافة الهلوسة أما الثاني، أيمن، فكان يهدد بين الفينة والأخرى مطالبا برئاسة المهجع والهدف هو منع الصلاة لأننا كفار لم نؤمن به.

٢٤ أيار ١٩٩٠

في الليلة الماضية كان وقت صلاة العشاء وكان ذلك بعد أن أخذ كل منا مكانه للنوم حسب الأوامر. ولترتيب صلاة الجماعة كان على الناس في الصفوف الوسطى المكشوفة للشبابيك أن ينسلوا الواحد تلو الآخر وبعناية بالغة وحذر شديد الواحد تلو الآخر وعلى من صلى في النوبة الأولى أن يندس عوضا عن المنسحبين. خلال عملية التبديل هذه حصلت مشادة بين الشخص المسؤول وأيمن. علت الأصوات فصاح أيمن بأعلى صوته: أنتم كفرة فجرة والله سيأخذني من بينكم وسيعذبكم لأنكم لم تؤمنوا بي. كانت هذه المرة الأولى التي يعلن فيها عن نبوته وبهذه الصراحة. لم يكن أحد من الشرطة قريبا ومرت الليلة بسلام.

عاد التنفس الصباحي بدءا من هذا اليوم. التقطني شرطي كنا نلقبه بالأسود لسواد بشرته. كان أجش الصوت ذو قلب متميز بانعدام الرحمة، وكان إذا صفع أحدنا بقيت اثار أصابعه خطوطا سوداء على الوجه لتجمع الدم وكان مغرما بضربي السنة الماضية. ناداني عدة مرات فلم أرد فصاح: أبو الانف المعقوف ولا. رفعت رأسي ظانا أنه سيصفعني لكنه ضربني بقبضته على أنفي فسال الدم مباشرة.

ادخل ولا علمهجع غسل وارجع.

في طريقي الى المهجع وأنا أركض لمحت شخصا واقفا مع الرقيب أبو الشياب لم أتبينه. عندما عاد الناس لم يغلق الباب وكان الناس يتهامسون ولم أدرك ماحولي إذ كنت مستلقيا لايقاف نزيف الدم. أيمن نفذ تهديده وهو الشخص الذي كان واقفا مع الرقيب يخبره باتهامات الله أعلم بها. صعدت الشرطة الى الشبابيك وساد جو من الرعب عن تكهن ماقال أيمن وماذا تكون النتيجة خاصة أن أبو الشياب القاتل قد يتولى الملف. كحركة التفافية اتفق الناس مع رئيس المهجع على دق الباب واستدعاء رقيب آخر لشرح وجهة نظر المهجع وتبيين الحقيقة وعليه تم ذلك وماإن شرح رئيس المهجع ذلك إلا وقال الرقيب: معاقب أبدي بعد عدة صفعات لأيمن. صار أيمن خلال أيام التنفس اللاحقة ولمدة شهرين هو الذي يضرب عوضا عن المهجع حتى أصابه الهزال وأشفق الناس عليه بعد أن أشفقوا منه.

كانت هناك روائح تغيير في السجن وكانت التنفسات غير طبيعية هذا العام وكأنها حقل تجارب نفسي للسجناء فأحيانا تأتي الشرطة للباحة لتنسحب دون اخراج أحد أو تفتح الأبواب فقط. أحيانا أخرى يأتون وماإن نخرج إلا ويعيدوننا. كثيرا ماخرجنا للتنفس ليبدأ الرقيب استفتاء: مين بدو يدخل يرفع ايده. كنا نخاف في البداية لكن تشجعنا فكان يسمح لمن رفع يده بالعودة للمهجع احيانا وقد يعرض رفع اليد صاحبه للضرب فتم الاتفاق فيما بعد أن نرفع ايدينا جميعا والا فلا لتجنب استفراد بعضنا بالضرب. وعلى كل فلم تكن الأيام بقساوة سنتي ١٩٨٧ و ١٩٨٩.

١٠ تموز ١٩٩٠

كانت التحقيقات على قدم وساق والدواليب والضرب في أيام الأربعاء أمرا اعتياديا. خلال ذلك دب الخوف في شباب التكفير وعادوا للصلاة معنا ومخالطتنا. اليوم استدعى رئيس السجن رئيس مهجعنا ياسر إلى مكتبه. خلف المكتب كانت هناك صورة معلقة على الحائط لرقيب من الشرطة العسكرية معلق على حبل المشنقة باللباس العسكري الكامل. هذا الرقيب كما سمعت، بسام السباعي، كان في سجن تدمر أوائل افتتاحه بعيد المجزرة وكان يساعد السجناء فأمسكوه وأعدموه وعلقت صورته انذارا لمن تسول نفسه من الشرطة والرقباء الذين سيأتون فيما بعد. صوت الراديو يصدح بأغنية أبحث عن سمراء قامتها هيفاء.

العميد متحدثا لياسر: هي عيشة عايشينها؟ عيشة الكلب أحسن من عيشتكم! انظر كيف الناس عايشة ويشير إلى كلمات الأغنية. إذا مابتغيروا من سلوكياتكم، بحياتكم مابتشموا ريحة إخلاء السبيل.

كانت هذه الجملة بالنسبة لي مبعث تفاؤل أن هناك إذن تفكير من قبل السلطة بإخلاء السبيل مع أننا نحن السجناء حذفناه من تفكيرنا.يتوسط ياسر لدى رئيس السجن لانهاء وضعية المعاقب الأبدي لأيمن وتم ذلك ليعود أيمن من لقاء العميد ويعتذر للمهجع على الملأ وسامحه الناس. وفي نهاية العام تنتهي تحقيقات التكفير بدولاب شرس لعبد الناصر، طالب طب من حمص، زعيم جماعة التكفير وظل على خوف دائم ينظر نظرات قلق للباب ولانعلم ماذا جرى بينه من حوار مع العميد وماكان من تهديد.أصبحت دفعات السجناء القادمين لتدمر قليلة شهرية بعد أن كانت أسبوعية أما السجناء اللبنانيون فقد تم سحب معظمهم من تدمر تدريجيا وقد عوملوا مثلنا حتى إن رئيس مهجع ٨ قتل على باب المهجع ضربا حتى الموت وكان مهجعا للبنانيين في الباحة الثانية.

كانت صحتي تسوء مع هزال واضح وانعدام للشهية. لاأستطيع أكل أي شيء إلا الخبز الذي كنت أيبسه ليكون ذا طعم يؤكل. بقيت مشتبها بالسل لكن لم أنقل إلى مهاجع السل في الباحة السابعة. اخترع أصدقائي وجبة طعام أطلقوا عليها اسما مضحكا: خمخمينا. ينقع الخبز بالماء ويترك ليتعفن وينمو الفطر الأخضر على السطح. هذا الفطر غني بفيتامين ب وبطعم حامض غريب لكن الرائحة كريهة ومنها اشتق الاسم. كانت وجبة ذات شعبية عالية هذا العام لكن ليس بالنسبة لي.

٥ أيلول ١٩٩٠

الليلة الماضية كنت أقرأ القرآن ليلا فوصلت قوله تعالى "ياأيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا" عندما قررت أنه حان وقت صلاة الليل. كان مكان نومي في وسط المهجع ومكشوفا للشباك وبذلك للشرطة فوق سطح مهجع ٨. انتظرت قليلا أصغي السمع هل من خطوات للشرطي المناوب ثم انسللت من مكاني وما إن بدأت أمشي القرفصاء إلى مكان الصلاة المستور إلا وصاح شرطي: ليلي ولا جيبوا لهادا اللي هلق طلع من محله

سيدي مافي حدا

هلق شفته

أصر الأخ محمد من اللاذقية مافي حدا

الشرطي يرغي ويزبد: علم حالك وعلمه

ذهبت للصلاة آسفا أن سببت خوفا وربما ضربا غدا للحارس الليلي محمد والذي كان متطوعا بالحراسة الليلية رغم مرضه وضعف صحته وقد رفض مصرا أن أخرج مكانه عند الاستدعاء للضرب. كان الخوف حقيقيا لكنني قلت لنفسي إن كنت موقنا حقا فلايجب أن تدعو الله أن لايأتوا للتنفس غدا بل اليقين أن يأتوا ولايضربوا أحدا من المهجع. عند الصباح أخرجوا مهجع ٧ واستدعوا المعلمين وضربوهم.وعندما خرجنا لم يستدعوا أحدا ونجونا والحمد لله وكانت آية.

عادت الأوضاع للتدهور بدءا من تشرين الثاني ١٩٩٠ وحتى نيسان ١٩٩١. توقفت التنفسات تماما وحل محلها تعذيب شديد وقت ادخال الفطور. كانت كمية الشاي كبيرة مرفقة بكمية ضخمة من البرتقال وكانت هوايتهم رفس حامل للشاي ثم اتهامه بكب الشاي وسحبه للتعذيب. وبات الضرب صباحا ووقت التفقد بالمزلاج الحديد الذي ينزلق لإقفال الباب وفتحه وأصبح همنا الأكبر الاستماع لصوت الباب وهل سحبوا المزلاج أم لا. أما عند التفقد فقد أصبح الأسلوب الجديد هو القفز في الهواء ثم رفسنا بحركة كاراتيه على المعدة أو الخاصرة أو الرأس باتجاه الحائط وعاد تخييط الجروح بوتيرة متسارعة بعد كل تفقد وكنت أحد ضحايا تلك الأيام وكانت خياطة لشق فوق الحاجب بإبرة خياطة عادية وبدون مخدر ولكن بيد طبيب ماهر من بيننا. طورت عادة منذ سنين أن لاأدخل المهجع إلا وجثوت على ركبة واحدة وأغطي وجهي بيدي داعيا: رب سلم رب سلم، خوفا على من هم ورائي حتى يصيح الشرطي: شد الباب ولا. كنا قد جدلنا من حبال النايلو مقبضا مثبتا لأحد أعمدة الباب من الداخل ولأن الباب قديم ففتحه وإغلاقه صعب وكان علينا أن نشده للداخل حتى يستطيع المزلاج الانزلاق فتحا وإغلاق. وبقدر ماكانت "علمهجع ولا"محببة للنفس لسنوات، فإن "شد الباب ولا" محببة عند الإغلاق أيضا وكأننا نفسيا لانريد للباب أن يفتح ولاأن نخرج مطلقا وكنت أرى هذه الآية تنطبق على باب المهجع "له باب، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب"

٧ كانون الأول ١٩٩٠

كنت حارسا ليليا الليلة الماضية وعلمت من قبل شرطي. عند المساء وقت إدخال مرقة العشاء،أخ ناجح وهو أخ مقدام من حماة دفشني بشدة لداخل المهجع وخرج ليضرب عوضا عني. وفي ليلة أخرى علمت أيضا وعند الصباح وقت إدخال الفطور، كان عدد المتطوعين لفداء الآخرين ضخما عند الباب بحيث لم أستطع الوصول للباب عندما طلبوا المعلمين للتعذيب. أزحت الشباب بعيدا ليوقفني رئيس المهجع بأن أحدا ما سبقني متطوعا. كان ذلك الرجل بشير، مهندس من اللاذقية وبالكاد يعرفني فقد كان جديدا في المهجع. لم أجد كلمات لشكره على تلقي ضربات بواري الحديد عوضا عني بقي يتألم منها لأيام.

٢٠ كانون الثاني ١٩٩١

كان يوما قارس البرودة والبرد يقص المسمار كما يقولون عندما سمعنا مهجع ٨ يتراكض للخارج وصوت بورية مياه تدق أرض المهجع جيئة وذهابا. اليوم تفتيش لأرض المهجع من وجود حفر وأنفاق. تم إخراجنا جميعا إلى الباحة حتى المرضى وعند العودة تم كسر يد الأخ ناجح من حماة بضربه ببورية الحديد وهو يساعد في حمل المرضى.

٢٤ شباط ١٩٩١

تم إعدام بقية شباب الطليعة اليوم مع آخرين وكان من بينهم صديقي محمود خوجة، طالب من حلب، وعصام وزان أيضا من حلب. تم ضرب السجن بوحشية إثر هذا الإعدام لأن الشباب صاحوا الله أكبر وقت إعدامهم.

سجن تدمر..باحة سادسة..مهجع ستة على تنين

28 نيسان 1991 – 5 كانون الثاني 1993



٢٨ نيسان ١٩٩١

بدء فرز عام للسجن حسب الأحكام في اليومين الماضيين وبدؤوا بتجميع المهاجع المفرزة في الباحة السادسة وتشتيت مهاجع السادسة بدلا منها على بقية الباحات. كانت عملية سوق السجناء ذهابا وإيابا لاتتوقف وقد أتوا إلينا بدفعة كان من بينها أنس، طالب من درعا، وكان في صيدنايا بسبب المرض وعاد للتو ليقص علينا قصة حرب الخليج فجلس المهجع كاملا يستمع لحديث السياسة بشغف يتبعه التحليلات السياسية المتفائلة بالفرج الوشيك.قرئ اسمي مع آخرين وكنت رأس رتل طويل من المطمشين والشرطي يجرني من سترتي عبر الباحة الثالثة الى الباحة السادسة وسط هواء ربيعي بارد. كان المستقر في مهجع "ستة على اثنين" وهو مهجع طويل بدورتي مياه وثلاث شبابيك سقفية وكان عددنا ١٦٥ شخصا وكانت الأحكام على مايبدو ١٢-٢٠ سنة وكان من بينهم الشيخ هاشم الذي التقيت به لثلاث سنوات في مهجع ١٥. أول ميزة في هذا المهجع الجديد هو أن التفقد داخل المهجع مما وفر الكثير من حفلات التعذيب اليومية التي مررت بها في السنوات السبع الماضية. وقد استغرق الأمر أياما للتعرف إلى من في المهجع واختيار الأصدقاء الدائمين.كان هناك الكثير من القصص بعد عقد من الزمن في هذا السجن وعلى الرغم من أنني مكثت مع شباب الطليعة لما يقرب من ثلاث سنوات لكن لم أسمع قصة اعتقالهم كاملة كما سمعتها من الأخ محمد، طالب بكالوريا من حلب، والذي التقى عماد الخطيب، مسؤول الطليعة في تركيا, في أحد المهاجع.

في أحد أيام أيار أخرجت كمعلم من الليلة الماضية وكانت العقوبة التعفيس بالبسطار على أرض الباحة بقيت مضعضعا بعدها لعدة أيام. ومع ذلك فقد خف التعذيب، أو كنا نعتقد أن لمهاجع الفرز معاملة مخففة كما كثر الطعام وتحسنت نوعيته ورأينا البامية لأسابيع حتى باتت كبيرة ومملوؤة بالدود الميت المطبوخ. كانت الزيارات للسجناء لاتنقطع إلا أن الكثير من الثياب والطعام كانت تسرق ويستبدلونها بثياب عليها آثار توزيع الطعام والشحم الأسود، علامة لباس السجناء القضائيين.

التقيت بشاعر رائع من دمشق وكان قد صاغ قصيدة طويلة يحاكي فيها قصيدة هاشم الرفاعي الشاعر المصري صاحب قصيدة رسالة في ليلة التنفيذ. بقي منها في ذاكرتي عدة أبيات تصف السجن واحواله

كم من عصا فوق الضلوع تحطمت	أن أنقذوني من يد السجان
كم لكمة أو ركلة فقئت بها	عين وأودى الصفع بالآذان
كم من سجين بات على الطوى	فطعامه قد قيس بالفنجان
كم من مريض لادواء له سوى	دعوات صدق من أخ حنان
ماللمشانق كلما ألقمتها	فوجا من الشهدا بلا أكفان
ضجت تهز حبالها نهما إلى	فوج جديد سابغ الإيمان
هب الشباب فأعلنوها صرخة	الله أكبر فوق كل مكان
من فوهة الرشاش من طلقاته	كان النقاش لمنطق العدوان

١١ حزيران ١٩٩١

توفي اليوم علاء البابا، طالب فيزياء من حلب، نتيجة الضرب لسنوات فقد كان معلما لفترة طويلة منذ أن دخل سجن تدمر. في حفل الاستقبال التفت إلى الشرطة وصاح بهم: شو نحنا يهود ليش بتضربونا؟ فأصبح معلما من وقتها وتعرض لضرب دائم حتى في الليل. كان علاء وسيما لطيفا لبقا مؤدبا لكن الضرب أثر عليه وعلى عقله. كنت الحارس الليلي وقد أشار إلي طالبا الإذن بالذهاب لدورة المياه لكن ماإن أتى الصباح حتى ساءت حالته ودخل في سبات. دققنا الباب طالبين الاسعاف لكن الشرطي أجاب: بس يفطس بتدق الباب ولا. توفي علاء ظهرا فأتى طبيب السجن لأخذ المعلومات: علاء البابا، مواليد ١٩٦٤، اسم الوالدة نفوس قابل, حلب، حي الشهباء، مقابل الوحدة

الجامعية الخامسة، سبب الوفاة التهاب الحجاب الحاجز. قيل لي أنه من عائلة غنية وقد أرسله أهله مع أخيه للدراسة في أسبانيا لكن والدته كانت تحبه كثيرا فعاد إلى حلب لدراسة العلوم في جامعة حلب وليكون قريبا من والدته.

١ آب ١٩٩١

كان التعذيب على أشده بمناسبة يوم الجيش وتم جلد العديد منا عراة الظهور انتقاء عشوائيا. منذ هذا التاريخ أصبح تعذيب يوم الجيش سنة. طبعا لم يتوقف التعذيب ليلا وكانت أصوات الصراخ تأتينا من بقية مهاجع باحة الاعدام التي نقع في وسطها. أحد الأساليب المفضلة كانت بأمر الحارس الليلي بصفع سجين ما ينتقيه الشرطي بشحاطة البلاستيك او تعريته الا من الشورت وصب الماء عليه وعلى النائمين حوله وابقائه بتلك الوضعية حتى الصباح ثم ضربه صباحا ثانية، أو أمر الحارس الليلي بسحب ابرة الخياطة على جلد الظهر ثم فرك الجروح بالملح حتى يرتوي الشرطي من نوعية الصياح المصاحبة لعملية الفرك. كذلك لم يتوقف رش الباحة اليومي بالماء مع تنقية الباحة من الحصى أسبوعيا.تسارعت وتيرة الزيارات في السجن بدءا من أيلول إلى نهاية العام

١٦ تشرين الثاني ١٩٩١

بمناسبة الحركة التصحيحية طلب محمد، أستاذ غريب الأطوار من دمشق، أن يرسل برقية تهنئة لحافظ الأسد. يأتي الشرطي وبعد أن سمع الطلب أجاب قائلا: عليك وعلى الحركة التصحيحية.

٣ كانون الأول ١٩٩١

المساعد محمد نعمة يأتي بأوراق وأقلام لكتابة أسمائنا وتوقيعاتنا على مبايعة الرئيس بمناسبة الانتخاب. أقنعني شباب المهجع والشيخ هاشم بالتوقيع بعد أخذ ورد وخوفا من الانتقام من المهجع "إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان". كانت صيحات الجيش حول السجن تتعالى بالاحتفالات وترديد "قائدنا إلى الأبد..الأمين حافظ الأسد"

١٣ كانون الأول ١٩٩١

بدأت اخلاءات السبيل وكانت صيحات الابتهاج تأتينا من مهجع ٢٥ بآخر الباحة. ماعدنا نستطيع النوم ليل نهار من الأرق والقلق وشدة التفكير. هل حقا سيخلى سبيلنا بعد أن محوناها من ذاكرتنا لسنوات؟ هل فعلا انتهت أيامنا في هذا المكان. أكيد أنني سأصاب بكآبة لايعلمها الا الله إن عرفت أني باق بعد هذا اليوم بأربع سنوات. كان شعورنا ونحن نودع إخواننا إلى الدنيا كما كنا نودع سابقيهم إلى الآخرة وكأنما قطعة منا تقتلع..ونبقى في تدمر.

١٧ كانون الأول ١٩٩١

تم نقل من تبقى من مهجعي ضهرو وأبو الشوارب إلينا وكان هذا مؤشرا أن إخلاءات السبيل توقفت. طبعا رفضنا تلك الفكرة وأبقينا على تفاؤلنا بالفرج القريب. كنا نجلس وننشد لشد الهمم بأنشودة تبعث الطمأنينة في النفس ولاأزال أحبها وتذكرني بتلك الأيام

الصلاة على المظال بالغمامة

خير خلق الله شرف أرض رامة

تم إخلاء سبيل حوالي ألفي شخص ويوما بعد يوم بدءنا نحس بالوحدة فكثير من المهاجع أصبحت خالية وكانت تمر لحظات من السكون أحس فيها أننا في نهاية العالم

١ كانون الثاني ١٩٩٢

وكالعادة رأس كل سنة أخرجونا لحفلة تعذيب إشعارا بعام جديد وزاد من شدة المعاملة يقين الشرطة أننا لو كنا مواطنين صالحين لخرجنا ولم نبق هنا إلا لعظم جرمنا وليس لانعدام عدالتهم.

٣١ آذار ١٩٩٢

اخر أيام رمضان كانت قوائم إخلاء السبيل تتوالى قراءتها على الباب ليعود الأمل بالخروج من جديد وقد تم إخلاء سبيل ٥٤٠ سجينا فرحنا لهم بمقدار حزننا على أنفسنا.

١١ أيار ١٩٩٢

اعدام حوالي تسعة أشخاص منهم عثمان صبحي عثمان وهيثم حداد. أمرونا من شبابيك السقف بالانبطاح على الأرض والأيدي معقودة وراء الظهور لما بعد وقت الظهر حتى نهاية الاعدام. خطوات الضباط وكلامهم الهامس وروائح عطورهم تصل إلينا وهم يمشون جيئة وذهابا على طول الباحة مرورا بحائط مهجعنا

٩ تموز ١٩٩٢

الحر يشتد وعاد السجن لقسوته كما كان وعاد الضرب ببواري الحديد التي هي أطول قامة من حامليها كما ظهر الكرباج المفتول من جديد في الباحات بعد أن اختفى منذ ١٩٨١. لاندري لم سحب الدواء من المهاجع ليعاد إلينا بعد عدة أيام تركتنا نضرب أخماسا بأسداس. وفي هذا اليوم كان هناك تعذيب شديد بالبورية لنزلاء مهجع المستوصف. كانوا تسعة أشخاص جاؤوا بهم إلى السجن في ٩ شباط من هذا العام سمعنا أنهم مجموعة ضباط أو صحفيين وقد صب عليهم العذاب صبا ولم ندر هل بقوا أحياء أم لا.

١ آب ١٩٩٢ عاصفة من التعذيب في ذكرى يوم الجيش وجلد عدد من الأخوة عراة الظهور بانتقاء عشواني كالعادة.

١٢ تشرين الثاني ١٩٩٢

آخر إعدام أحضره في تدمر ولم أستطع تبين العدد ولاالأسماء فيبدو أنهم وجدوا الضحايا قبل أن تصل قائمة الأسماء إلينا.

٢٢ تشرين الثاني ١٩٩٢

تم إخلاء سبيل حوالي ٥٠٠ شخص وبعدها بقليل تم نقل صديقي معاذ، مهندس من دمشق، إلى صيدنايا بواسطة من أهل زوجته. طلبت أن ينقل مكان نومي إلى مكانه تيمنا باللحاق به. كان مكان النوم تحت نافذة السقف مباشرة ولم يكن مكانا محبذا فربما يأتي شرطي شرير ويتبول عليك وأنت نائم.

١ كانون الثاني ١٩٩٣

جو إرهاب يعم السجن بمناسبة رأس السنة فكان الصياح طوال الليل يتبعه تفتيش يومي للمهاجع أثناء التنفس الصباحي. نعود من الضرب لنجد ثيابنا مبعثرة ومخلوطة ببعضها.

٤ كانون الثاني ١٩٩٣

كنا قد دخلنا كالعادة من التنفس وكانت المعنويات عالية فكنا نتراكض في مكاننا داخل المهجع ونحن نبتسم مشجعين بعضنا البعض. فجأة قرئ اسم شخص عند الباب فصاح رئيس المهجع باسمي فلم أرد. فصاح ثانية وصاح الشباب خلفي: جهز نفسك، زيارة. أجبتهم بحدة: أي زيارة؟ مافي حدا. أخذني الرقيب بعيدا عن الباب وكان يسألني عن اسمي ومواليدي واسم الوالدين ثم طلب مني أن أبصم على ورقة ثم أعادني إلى المهجع. تجمع الناس حولي متسائلين فأشرت لهم بابهامي وعليه أثر الحبر فبشروني بالفرج إلى سجن صيدنايا العسكري كما حصل مع صديقي قبل شهر. كان المهجع يهنئني ولكنه كان حزينا وسألني صديق عن شعوري فأجبت: أنا عند حرف الواو من قوله تعالى "نبلوكم بالشر والخير فتنةً".

كان لي صديق من حماة يمزح دائما معي ويقول: أبو ذر لاتعذب حالك، عشرين سنة بدك تكملها لسنة ٢٠٠٤. كان يغضبني بمقولته تلك وكنت أغضب بمجرد سماع متشائم مخافة أن يتحقق. ذهبت إلى ذلك الأخ وقلت له مارأيك؟ لسنة ٢٠٠٤؟ فابتسم حزينا: لقد هزمتني. ودعت أصدقائي واحدا واحدا ثم توقفت عند الشيخ هاشم وقبلت يده، لم أقبل يد شيخ قبله، وقلت له: من لم يتعرف إليك لم يعرف دينه حق المعرفة.

قبيل المغرب أخرجوني وبقيت جالسا على الأرض ووجهي إلى الحائط أمام الورشة في مكان تنفيذ الإعدام-كم من آلاف صعدت إلى ربها من هذه البقعة حيث أجلس- حتى انتهوا من تفقد أقفال المهاجع في الباحتين السابعة والسادسة. ذلك القفل الذي نعرف طعمه جيدا في رؤوسنا وظهورنا. أصوات رؤساء المهاجع تأتيني من بعيد بجملة تقديم الصف كموسيقا حزينة: استاعد..استاعد..استارح..استاعد..المهجع جاهز للتفتيش حضرة الرقيب. أخذوني إلى الباحة الخامسة..صوت خشخشة مفاتيح..أدخل إلى زنزانة صغيرة ويغلق الباب. رفعت الطماشة عن عيني فإذا بأخ مريض يبدو أنهم حملوه على بطانية وتركوه على مصطبة مرتفعة داخل الزنزانة. لمست كتفه فارتجف خائفا ظنا منه انني من الشرطة فطمأنته وكان لايستطيع الجلوس ويبدو انه يغيب، من شدة المرض..تعارفنا باختصار أخوكم في الله هشام مرستاني..نجار من حلب..اعتقال ١٩٨١..لي طفلة. يذكرها بلهفة وأمل. صلينا العشاء و تركته يرتاح. تأملت المكان..الضوء خافت..صوت ماء ينقط من حنفية كفلم رعب..الجدران وسخة والباب مرتفع عن الأرض وصوت حركة جرابيع طوال الليل. لو لم أكن محولا لصيدنايا لمت رعبا من دون تعذيب وكأنه زنزانة من العصور الوسطى أو محاكم التفتيش. بدا واضحا أمامي من فتحة فوق الباب حائط مهجع ٤ و ١٢..ذكريات لاتمحى. لكن أجمل مافي المكان هو قوة صوت الأذان واضحا عند الفجر. ماإن صلينا حتى اقتربت خطوات وخشخشة مفاتيح.

سجن صيدنايا

5 كانون الثاني 1993 – 19 تشرين الثاني 1995




سجن صيدنايا
طابق 3 جناح ج غرفة 2: 5 كانون الثاني 1993
طابق 3 جناح ب غرفة 2: أخر 1994
طابق 2 جناح ب غرفة 2: أول نيسان 1995
Map
Photos


سجن صيدنايا
ج
ب
أ
Map
Photos



٥ كانون الثاني ١٩٩٣

ساقوني عبر الباحات..الثالثة..أمر أمام مهجع ١٣..١٥..الباحة الأولى..مهجع ٤..أحس بالأضواء الصفراء من تحت طماشتي..شريط من الذكريات تمر من أمامي مع هدوء هذا الفجر البارد.أنا على يقين أن صديقي جلال يقظ يراقب مايدور في الباحة. في باحة الذاتية أبقونا في غرفة جالسين على أرض اسمنتية قارسة البرد ربما لثلاثة ساعات وشرطي يصيح بين الفينة والأخرى: وطي راسك ولا، بدي ساوي هيك وهيك بأمك وأختك ياأخو ال...وياابن ال...مع بزوغ الفجر ركبنا سيارة السجن ذات الشبابيك المفضضة. كان الهواء الكانوني القارس يعصف بنا. كنا خمسة: اثنان على الحمالات وثلاثة مقيدين ايديهم إلى بعضهم البعض في وضعية مثلث وجوهنا لداخله لاتسمح لأي منا أن يقي نفسه شر البرد..توقفت السيارة وقفات طويلة حتى تمنيت لو لم أخرج من تدمر..شاهدت من زاوية طماشتي أعمدة تدمر الأثرية منورة بالأضواء الصفراء من قواعدها..ظلم شاحب وجبروت.عند مشارف دمشق كان المشهد لاينسى، حياة وحركة وضجيج، الناس لها شعر على رؤوسها، مشهد ليس بالمألوف. توقفت السيارة عند المشفى العسكري بمدينة التل ثم تابعت بي وحيدا إلى سجن صيدنايا. أجمل رائحة تملأ المكان وتنساب إلى أنفي، البصل مع البيض المقلي. في باحة واسعة بدأ حفل استقبال غير منتظر. شرطيان أو ثلاثة بالكرابيج ثم تبعني أحدهم رفسا حتى الطابق الثالث إلى جناح ج يمين. يتلقاني عدد من الشباب إلى غرفة رقم ٢ لأبقى بها حتى المساء. اتي الشباب لي بمأاكله ويقدمون لي برتقالة ضخمة فقلت لهم "كلها لي؟" فيضحكون وأصبحوا يذكرونني بها تندرا علي. محمد من درعا، ميسر من حماة، عبد المولى من حمص، طلاب بكالوريا يحملون أمتعتي وفراشي إلى مسكني الجديد في غرفة رقم ٢ ج يسار.

كانت غرفة واسعة فيها عشرة نزلاء كلهم طلاب بكالوريا ولكل منا فرشة مريحة للنوم. أجهزة الراديو في كل مكان وكان هناك جهاز تلفزيون عند رئيس الجناح أبو مطيع. أول حمام بالماء الساخن منذ تسع سنين وكنت أبكي وأنا أغتسل بالصابون المعطر. وقد صنع الشباب وشيعة كهربائية مع أسلاك تدلى داخل بدون ال ٢٠ لترا لتسخين الماء وعندما يغلي تنقل الوشيعة إلى بدون آخر وهكذا كان الماء الساخن بلاانقطاع للحمام والجلي والغسيل. تداركني الشباب مباشرة بالمال فعند الصباح دعاني الأخ محمد، طالب بكالوريا من حماة، لكأس شاي وتعارف وكان قد جهز كيسا فيه كل الاحتياجات الأساسية للسجين مع ألف ليرة أصر علي أن آخذها ثم تتابع المال من أبو مطيع، طالب بكالوريا من عائلة غنية من حلب ومن ميسر، طالب بكالوريا من حماة ومن آخرين من ادلب. كان تكافلا اجتماعيا رائعا

حتى إن رجلا قديرا من بيروت، الأستاذ أبو أسامة، قال لي يوما: براء إن لم تلتق أهلك فنحن أهلك واعتبرني رصيدك المالي الدائم وبأي وقت. فيما بعد تكفل ميسر بالمال بلاتوقف.

كانت نتيجة الانتقال من تدمر لصيدنايا في برد كانون سعالا لاينقطع وعندما تم عرضي على طبيب الجناح، طبيب من حلب أبو أحمد، كان علي أن آخذ دواء ولمدة شهر ليتوقف السعال. في طريق عودتي من عند أبي أحمد، رافقني طريف، طالب بكالوريا من حلب وقد كان أستاذي في اللغة الفرنسية فيما بعد، إلى غرفتي وفي الطريق طلب مني أن أنتظره قليلا ليعود بمعطف فرنسي جميل رجاني أن أقبله هدية. جناح ج يتألف من جناحين يمين ويسار في كل منهما عشر غرف كل منها ٥ ب ٥ متر وطول كل جناح حوالي الستين مترا وكانت الغرف في الوسط بينما الممران على الطرف لتطل بشبابيك كثيرة على مناظر رائعة تمتد إلى جبل الشيخ. يلتقي الممران ليشكلا مساحة أوسع اتخذها الشباب ملعبا للعب كرة الطائرة حيث أقاموا دوري كرة الطائرة بين فرق متعددة وكانت الكرة صنع اليد من القماش ومحشوة بأكياس النايلو ..

يتم فتح الأبواب السابعة إلا ربع صباحا لإخراج الزبالة وتجميعها في ساحة الطابق وفي التاسعة يبدأ التنفس بمقدار ساعة فكان بعض الناس يركض بينما يمشي الآخرون يتحدثون أو يقرؤون الكتب. كان التفقد ظهر كل يوم حيث نقف على شكل حلقة مفتوحة تجاه باب المهجع. كنت أتحاشى النظر إلى الشرطة وكأني في تدمر واستغرق الأمر أشهر لأستوعب الجو الجديد. كنا نشطف الممرات ظهرا ويسود همس لقيلولة مابعد الظهر حيث يجلس البعض يتحدثون مع شرب المتة وفصفصة البزر. أما عند المساء فكان الناس تتزاور وقبل إغلاق الأبواب عند المغرب بساعة كانت حركة السير جيئة وذهابا تتسارع على طول الممرات والناس تتحدث وكأنهم في سباق مع الزمن قبل إغلاق الأبواب.

"ومضى يوم آخر" كانت جملتي المفضلة كل يوم إثر إغلاق الأبواب.أمضيت أياما في ضيافة غرف الجناح بهدف التعارف حيث أقضي الليل نتحدث ونتحاور ونتناقش. كان علي أيضا أن أستوعب الوضع السياسي في الخارج ومحاولة معرفة ماحصل في مايقارب عقدا من الزمن. لم أصدق أن الاتحاد السوفييتي قد سقط وأن ألمانيا قد توحدت ولم أفهم وضع حرب الخليج أو مصر وعودتها للجامعة العربية. وضع الجزائر والبوسنة والهرسك وغيرها كثير مما كان علي أن أستوعب وأفهم الخلفيات لأبدأ هواية التحليل السياسي المتجذرة في عروقي. مماحير أصدقائي هو انتقالي إلى صيدنايا دون معرفة الحكم أو الواسطة التي نقلتني من تدمر إذ المتوقع أن يأتي الأهل لزيارة السجين خلال أيام لكن مرت الأيام ولم يأت أحد. حاول عدد من الشباب ذوي التهمة الشيوعية مرتين من خلال أهليهم أن يبحثوا عن العنوان أو الأقارب لكن دون جدوى وكان أكثر تفصيل جاءني عن وضع أسرتي أنهم في أمريكا وأنهم بخير. عندما جاء الخبر في المرة الأولى في شباط كان فرحي لايوصف بأنهم بسلام وأمان خارج البلد فقد أمضيت السنوات في تدمر متوجسا عند كل قراءة اسم أو مجيء دفعة جديدة من السجناء أن يكون أحد من أهلي من بين القادمين لالشيء إلا لأن خالي المراقب العام للإخوان ولتفاهة التهم التي قبع الناس بها في السجن لسنوات وسنوات.هذا أعطاني راحة نفسية فبدأت بدراسة كتب تعليم الانكليزية من سلسلة Essential English حيث خصصت درسا واحدا في اليوم بالاضافة لسماع الانكليزية الخاصة من ال BBC و صوت أمريكا وقراءة المجلات الانكليزية وغيرها. لم يمض وقت إلا وأصبحت معلما للانكليزية ومتعلما للفرنسية وكنت أقضي الصباح الباكر مع صديقي معاذ لمراجعة الانكليزية. خلال اليوم كانت مواعيد لاتتناهى للعلم والتعلم والقراءة ومراجعة القرآن وكتب الحديث والتفسير وغيرها. كان أصدقائي يسخرون مني لم أتعلم الانكليزية وربما أعود لتدمر وكنت أجيبهم ولم لا فالموت مع تعلم اللغة الانكليزية خير من الموت دونها. أفادني هذا التعلم بشكل لايوصف بعد إخلاء السبيل فقد نجحت بالامتحانات المطلوبة للدراسة بالجامعات الأمريكية قبل السفر لأمريكا.

وصلتنا ذات يوم رسالة من ثلاث صفحات من جناح آخر في وصف دقيق مذهل لمجزرة تدمر ممن حضرها وكان في السجن بتهم لاإخوانية. كان ضرب السجناء عنيفا قبل يوم حيث تم عد السجناء مساء. في الصباح الباكر من ٢٧ حزيران ١٩٨٠، أتى الرائد فيصل غانم ونائبه النقيب بركات العش ومروا على باحات السجن وأخذا وثائق معينة من مكتب ادارة السجن. كان قد تم فرز السجناء بتهمة لاإسلامية في مهاجع خاصة. بقيت طائرات الهليوكوبتر تحلق مدة فوق السجن لتحط في المطار القريب وتم استبدال الشرطة العسكرية بسرايا الدفاع. تم اقتحام السجن حوالي التاسعة صباحا برمي القنابل أولا إلى داخل المهاجع من الشبابيك يعقبها فتح الأبواب ورمي السجناء بالرصاص. كانت الحفر في الحيطان والناتجة عن اطلاق الرصاص تبدو واضحة في زوايا المهاجع التي مررت بها خاصة في دورات المياه حيث يبدو أن الناس قد تجمعت برعب هربا من الموت المفاجئ. استمر اطلاق الرصاص والاجهاز على السجناء حتى الظهر كانت خلالها سيارات تطلق أبواقا عالية في المدينة القريبة للتغطية على أصوات الرصاص. عند المساء طاف ضابط أمن السجن على المهاجع للإجهاز على من بقي حيا من الجرحى ولم ينس تشليح الساعات اليدوية وأخذ المال الموجود في جيوب القتلى. بقيت الجثث ثلاثة أيام وامتلأ السجن بذباب لايعلم عدده إلا الله وهو يطوف بين الجثث التي بدأت بالتفسخ وانتشرت الروائح الكريهة في كل مكان. بعد

ذلك تم نقل الجثث مع الثياب والبطانيات للدفن وتم غسل المهاجع كاملة تمهيدا لافتتاح السجن ثانية لاستقبال الآلاف تحت غطاء قانون ٤٩.

١٠ تشرين الثاني ١٩٩٣

جاءت إلى السجن لجنة ضباط وقابلت كل السجناء في الجناح طوال اليوم باستثناء المنقولين حديثا من تدمر مثلي.

٢٦ تشرين الثاني ١٩٩٣

تم إخلاء سبيل حوالي ٥٠ شخصا من جناحنا البالغ تعداده حوالي ١٢٠ معظمهم من شباب تحت سن ال ١٨ وقت اعتقالهم ومضى سنوات على انتهاء مدة حكمهم. تم ذلك ليلا ولم يسمحوا لنا بتوديعهم وكانت هذه الاجراءات المتشددة لمنع ايصال رسائل لأهالي المعتقلين. ساد جو من الكآبة بعدها لما يقرب من شهر مع مجيء الشتاء فلاتكاد ترى أحدا يسير في الممرات غيري. تبع ذلك عدد من إجراءات التضييق أولها إغلاق جناح ج يمين وفصله بجدار عنا ونقل من تبقى في ج يمين إلينا ثم تم منع إبقاء جرات الغاز التي نستخدمها للطبخ في الجناح أثناء الليل. تم أيضا نقل السجناء ذوي التهمة الشيوعية إلى الطابق الثاني وذلك إثر إمساك رسالة حاولوا إخراجها تصف الشرطة بخفافيش الظلام وتصفنا نحن ذوي التهمة الاسلامية برفاق النضال. كانوا قد صنعوا عودا للغناء من خشب السحاحير وإذا رأيته تظن أنه مصنوع في الخارج. كانوا يغنون أغنية من الفلكلور الشعبي وعندما كانوا يبدؤون بالغناء الجماعي, كنت أقول للشباب في غرفتي: النشيد الوطني ياشباب..ونبتسم

٢٧ كانون الأول ١٩٩٣

عادت لجنة الضباط ثانية لمقابلة من تبقى وكنت هذه المرة من بينهم. كان معظم الحوار مع اللواء حسن خليل. كان السؤال الذي كرره علي: ماذا كنت تفعل بين ١٩٨٢-١٩٨٤ وكيف لانعلم شيئا عنك وكيف اختفيت من راداراتنا ولماذا لم تنسحب. كان من الصعب إقناعه بأنني لم أكن منظما فلن يصدق إلا ماكتب عني في فرع التحقيق ومابصمت عليه مطمشا. كان يصيح ويرغي ويزبد وكلامه من تحت الزنار وكم استغربت لهجته الحقودة في ١٩٩٣ فتصور معي لهجته في ١٩٨٠ فلاعجب أن أعدم الآلاف لمجرد سلام أو حضور درس في مسجد او كاسة شاي.

انقلع ولا، نتواجه السنة الجاية..

كان هذا آخر ماصاح به قبل أن أخرج. بقيت متفائلا أن هناك إخلاء سبيل لي يبحث لكن وفاة باسل الأسد في ٢٤ كانون الثاني أوقفت كل شيء. لم يعد يجرؤ السجناء على رفع صوت المذياع ولاالابتسام وأطال عدد من الشرطة لحاهم علامة حزنهم.

٢٢ كانون الأول ١٩٩٤

كانت مفاجأة مخيفة عندما قرئ اسمي مع عشرين آخرين هم كل من نقل من تدمر إلى صيدنايا بواسطة. ركضت بسرعة لأوقظ صديقا لي في غرفة أخرى لتوديعه. تم نقلنا جميعا الى جناح الباب الاسود الذي هو جزء من جناح ب يمين في الطابق نفسه لكن فصل عنه بحائط ليحتوي على أربعة غرف فقط. في بقية الغرف كان هناك اناس من تهم مختلفة بعضها تجسس ولم نختلط بهم كثيرا. كان وضعا نفسيا صعبا فلم يعد هناك تنفس ويسمحون فقط بساعة في اليوم خارج الغرفة. كان احتمال إعادتنا الى تدمر قائما وكان من الصعب العودة إلى تدمر بعد أن استعدت انسانيتي قليلا هنا. مع مرور الأيام بات احتمال النقل إلى تدمر يتضاءل ولكن لم نعرف تماما سبب نقلنا إلى جناح الباب الأسود الذي يستخدم عادة للعقوبات وعزل السجناء المشاغبين. واضح أنني بدأت الإصابة باكتئاب شديد فقد كنت أبكي طوال الوقت، لاأستطيع النوم وكنت أمضي الوقت سيرا لايتوقف إلا عند وصولي للحظة إنهاك. بقي الشباب في الجناح السابق يراسلوننا وكان ميسر يرسل مناصفة مايأتيه من طعام وثياب من أهله. كان قد أرسل إلي رسالة فيها قصيدة رقيقة أذكر منها

أخي كنت بلسما للكلوم

وكنت شقيقي وأمي الرؤوم

وكنت أمانا بسجني اللئيم

فماذا أقول بيوم أليم

أخي فحياتك هذا الكتاب

به قد علوت سنام السحاب

وغير الكتاب نعيب الغراب

ودرك الشقاء المهين المقيم

وختم رسالته بهذين البيتين

وعند فراقنا للأحباب نأسى	ولكن ليت ينفعنا أسانا
وإن كنت فرقت يادنيا كراما	وأحبابا ففي الأخرى لقانا

كان صديقي ميسر شاعرا مجيدا وكان يقضي الليلي ساهرا يرمق السقف باحثا عن لفظة صعبة تناسب قافيته وبحر قصيدته وكنت أسخر منه وأقول له كفاك صفا للكلمات ثم تسميها شعرا. كان قد أمضى وقتا على قصيدة أطلعني عليها ولم أتمالك نفسي أن قررت حفظها وبقي منها أبيات يصف فيها نفسه عند إخلاء سبيله

لئن تك دارنا أمست خرابا	لقد بقيت على قلبي ملابا
وأوقن أنني سأعود يوما	إليها أنهب الأرض انتهابا
أسير بدرب حارتنا فيهوي	فؤادي كلما ازددت اقترابا
فيقفز يسبق الكفين قلبي	ليقرع في التياع الشوق بابا
تقول الدار أهلا ياحبيبي	أطلت عني أيا ولدي الغيابا
فمالك قد رحلت عني صبيا	وشعرك يابني اليوم شابا
ويعجز أن يكلمها لساني	فكان الدمع مدرارا جوابا
أقبل كل شبر من بناها	أعطر منه ثغري والرضابا

١٦ آذار ١٩٩٥

علمنا أن الكثير من أصدقائنا على أهبة إخلاء السبيل اليوم. بقيت مستلقيا على الأرض أراقب حركة المرور وسط الطابق حتى بدأ خيال الأقدام يتتابع على مرآتي العاكسة للبلاط. لحظات الوداع هي أصعب لحظات الحياة والأصعب هو منع هذا الوداع. خلال أيام أتتني ثياب صديقي ميسر وكتبه وأشعاره و عشرة آلاف ليرة مع رسالة رقيقة حزينة. إثر إخلاء السبيل وعدنا ضابط أمن السجن بعودتنا إلى جناح أصدقائنا. كان هذا الوعد بمثابة تأكيد أن لاعودة لتدمر ثانية وكانت راحة نفسية لاتوصف.

١٢ نيسان ١٩٩٥

كان لقاؤنا بأصدقائنا رائعا، غسان ومحمد أعز أصدقائي من حلب وكان عناقا طويلا. كان الجناح لايزال بحالة فوضى منذ إخلاء السبيل وواضح أن الكآبة النفسية كانت مانعة من لمس أغراض إخوة أعزاء شاركونا عناء حياة السجن لكنهم رحلوا. حزننا على فراق أصدقائنا عند إخلاء السبيل لايختلف أبدا عن حزننا على سابقيهم وهم يخرجون للإعدام، كلتا الحالتين فراق وفي كلتا الحالتين نخلف وراءهم. في اليوم التالي جاءت الأوامر بالانتقال جميعا إلى الطابق الثاني جناح ب يمين. كنا حوالي الخمسين وكان عددنا قليلا في المهاجع، كل ستة

أشخاص في غرفة. أصبحت مسؤول مكتبة الجناح حيث جمعت كل الكتب الموجودة وأصبحت أعيرها بشكل رسمي وأعتني بها. لازلت على كآبتي لكن خفف عنها وجودي مع إخوة رائعين أحبهم لكنني كنت متوجسا من إخلاء سبيل قادم أخلف بعده. كان مرعبا بالنسبة لي أن أبقى في السجن أي دقيقة إضافية ويبدو أن مناعتي تجاه السجن قد ضعفت منذ أن دخلت العقد الثاني في السجن وزاد عليه أن نقلي للباب الأسود كان مؤشرا أن حكمي ربما عشرين سنة إلى المؤبد ومجرد التفكير أنني باق في السجن يزيدني غما إلى غم. لحماية نفسي من هزات اخلاء السبيل التي كنت أشعر أنها قادمة، ألغيت كل مواعيدي بتدريس اللغة الانكليزية أو قراءة القرآن مع دخول الصيف. كان المكان أشبه بمصيف، نسيم بارد ومنظر سهل صيدنايا والمزارع يبعث الراحة في النفس. كنت أصعد فوق أنابيب التدفئة وأبقى طويلا أتأمل السهول وأدعو الله أن يخلي سبيلي.

٦ تشرين الأول ١٩٩٥

قامت لجنة الأمن القومي بمقابلة الكثير من السجناء البارحة. كانت الأبواب مغلقة طوال اليوم وماكان من وسيلة لمعرفة ما يدور خلال المقابلات. جاء دوري اليوم وكان داخل الغرفة اللواء حسن خليل والعميد هشام اختيار. كانت الأسئلة معظمها مع هشام اختيار وحسن خليل يستمع وكنت أعلم أن هذه المقابلة ستقرر إخلاء سبيلي أو لا وكنت أخشى أن يدخل حسن خليل على الخط بسبابه وشتائمه كما فعل قبل سنتين. فعلا لقد وفى بوعده عندما هددني بمقابلتي بعد سنة وهاقد مرت سنتان.

ليش مانسحبت من التنظيم لما عطيناكم فرصة الانسحاب؟

سيدي كنت خيفان

خيفان من مين؟

من الإخوان

وليش تخاف من الإخوان! نحنا الدولة مانعرف حالنا إلا دائما أقوى من الإخوان. ويعود بكرسيه للوراء متباهيا

كلامك مظبوط بس مو بحماة. بحماة الإخوان كانوا أقوى.

يبدو أنهم أعجبوا بردي فانتقلت الأسئلة إلى منحى آخر

شو بتساوي فوق بالسجن؟

أقرأ

ماذا تقرأ؟ كتب دينية؟ كتب فكرية تنظيمية إخوانية؟

لأبدا، اهتمامي هو كتب التفسير والحديث والفقه، لاتعنيني كتب السياسة

كم تحفظ من القرآن ؟

أنا خاتم

كله؟

نعم كله

يلتفت هشام إلى حسن خليل صافرا: والله أحسن مني أنا ماني حافظ إلا السور المسنونة، الكهف ويس و..

عندما اعتقلت كنت أحفظ ستة أجزاء من القرآن

ومين حفظك إياها؟

يجيب حسن خليل متهكما: شيخه حفظه إياها

لاأبدا ولكني من أسرة متدينة

طيب، إذا طالعناك شو الضمان انك ماترجع للتنظيم؟

سيدي انا تركت التنظيم قبل اعتقالي فمن غير المنطقي أن أعود إليه بعد هيك سجن .

لم أجد من جواب غير هذا لأنني قلت لهم قبل سنتين أنني غير منظم فلم تنفع.

ليش شبو السجن؟

نسأل الله العافية

هنا يشير إلي حسن خليل: اطلع ابني اطلع

عدت إلى الجناح ورويت لأصدقاني ماحصل وكنت مبتهجا أن إخلاء السبيل قادم لسبب بسيط أن حسن خليل لم يشتمني هذه المرة. لكن أصدقاني يثيرون مخاوفي أن صراحتي كانت زيادة عن اللزوم. كنت متفائلا وزاد من تفاؤلي أن عصفورا كنا نطعمه في غرفتنا قرر الرحيل وهرب من الشباك. طبعا حزن صديقي محمد الذي كان يعتني به لكن العصفور بلغنا رسالة أن وقت الرحيل قد اقترب. وكان التوجس يزداد مع اقتراب ١٦ تشرين الثاني ذكرى حركة حافظ أسد التصحيحية، موعد محتمل لإخلاءات السبيل.



١٩ تشرين الثاني ١٩٩٥

استيقظت باكرا على جلبة وضوضاء وحركة الشباب في هرج ومرج. أتى المساعد ضابط أمن السجن وأبلغ أصدقائي أن باصات إخلاء السبيل قد وصلت. التفت إلى أصدقائي وأنا أجلس بشكل غاضب: ياشباب اذا انتو طالعين إخلاء سبيل، طيب خلونا ننام. كان أملي بالخروج يساوي رعبي بالبقاء وأنا أتيقن أن لحظة الحقيقة قد حانت أمامي. يأتي رئيس السجن العقيد محيي الدين محمد ومعه قوائم الأسماء: اللي بيطلع اسمه يضب اغراضه إخلاء سبيل.

لم أستوعب أن اسمي قد قرئ إلا عندما أحاط بي صديقاي غسان ومحمد وهما يقولان بصوت باك مهنئ: أبو ذر، ماذا تنتظر، ضب أغراضك، نحن باقيان هنا.

مو ممكن، الدفعات قادمة.

لانعتقد فهذه دفعة الأمن العسكري ولن تأتي مرتين.

وزعت أغراضي لكن صديقاي رفضا أخذ المال لأن أسرتي ليست بالبلد ولامن معيل. لم أستطع إقناعهما ودسا المبلغ ثانية في جيبي وأنا خارج. تم تفتيشنا بدقة منعا لأي رسائل او كتب أو مذكرات ثم ألقى رئيس السجن كلمة وداع في الطابق الأول أننا أصبحنا مواطنين صالحين بعفو من الرئيس. يقترب ضابط الأمن منا مبتسما: مابدنا نشوفكن هون مرة تانية فأجبته دون إبطاء: ليش شو بقي بحياتنا لحتى نرجع! فينظر إلي باستغراب ولم يجب.ركبنا عدة ميكروباصات ونحن مقيدين لكن المعاملة كانت حسنة هذه المرة. بقينا ننظر إلى السجن حتى غاب عن الأنظار. أحس بصديقاي محمد وغسان وحجم الكآبة التي ستنزل عليهما مساء. منظر الصحون اللاقطة للفضائيات والتي تملأ أسطحة المنازل كان غريبا. مر الباص تحت جسر الثورة. حركة العاصمة ازدحام وسيارات وضجيج. دخلت الباصات إلى فرع التحقيق العسكري..المكان مألوف..لاخوف هذه المرة أيضا لكن المكان يحتفظ بذكريات أليمة ورهبة. وضعونا في المهجع ٤، المهجع نفسه الذي غادرت إلى تدمر منه قبل حوالي ١٢ سنة. كنت أتأمل كل شبر من حيطانه وأرضه وساحبات الهواء ذات الصوت المتميز. لم يكن هناك أي بطانيات للجلوس. المفاجأة الأضخم كانت أن أعادوا إلينا ساعات اليد التي أخذت منا في تدمر قبل ١٢ سنة. كانت لدي ميدالية مفاتيح ذات إطار يدور منذ أن كنت في الصف الحادي عشر، لم يعيدوها إلي ولم يعيدوا المعجم..سيبقى في ذاكرتي ومخيلتي وهو

يرفس بعيدا بالبسطار العسكري. أحاول أن ألبس الساعة لكن إطارها البلاستيكي ينكسر بسبب تقادم الزمن. لاأزال أذكر أنني اشتريتها يوم 15 تشرين الثاني 1983 قرب فندق الكندي بدمشق وكانت محببة إلى قلبي. كان الوقت مساء عندما جمعونا في ممر واسع جثيا ننتظر. كان هناك سجناء من تدمر عرفت بعضهم لكن لم نستطع ان نتكلم عبر الممر الفاصل. بدأنا نتململ فقال لنا ضابط يدعى العقيد عمر: ياشباب تحملتونا ١٥ سنة، تحملونا هالكام دقيقة. بدأت حركة دؤوبة لعناصر المخابرات وسمعنا قرقعة السلاح وساد هدوء وبدأت الناس تهمس: هناك مقابلة مع ضباط. صعدوا بنا إلى الطابق الأول أو الثاني إلى مايبدو مكاتب وثيرة. كنا ننظر إلى بعضنا البعض والوجوه محتقنة من الخوف. هذه هي المقابلة مع ضباط الأمن القومي التي ستقرر إخلاء السبيل وليس المقابلات السابقة .أدخل إلى غرفة واسعة، علي دوبا رئيس المخابرات العسكرية يجلس على كنبة، حسن خليل نائبه وهشام اختيار رئيس فرع المنطقة يجلسان وراء طاولة. كمال يوسف رئيس فرع التحقيق العسكري واقف وراء علي دوبا. علي دوبا يتكلم بهدوء والباقي يستمع باحترام باد على الملامح

ابني أنت جاء أمر إخلاء سبيلك بعفو من سيادة الرئيس

هل زارك أهلك؟

لا

يلتفت إلى هشام اختيار ويتهامسان

في أي سنة أنت؟

سنة ثانية، هندسة كهربا، جامعة دمشق

شو بدك تساوي إذا طالعناك؟

أرجع أدرس

بدك ترجع عالجامعة، شو؟ عالجامعة، فهمان؟ بدنا ياك تعيش عالهامش

إذا طالعناك بتتعاون معنا؟

إن شا الله

يبدو إنو مانو ناوي، رجعو، يقول هشام اختيار مخاطبا علي دوبا

يجيبه علي دوبا، وهو يهز بيده ورقة إخلاء السبيل وينظر إلي: اطلع ابني اطلع، وين بدو يروح؟ مابدو يراجعنا!

خرجت من الغرفة وأنا بالكاد أصدق أنني نجوت بورقة إخلاء السبيل.بعض من أصدقائي لم يكن محظوظا وأعادوه إلى السجن.وضعوني مع عدة من أصدقائي الذين طلبوا تركهم في دمشق في ميكروباص. طلبت أن ينزلوني أمام الجامعة القديمة بجانب بناء سانا. صاح بي صديقي رائد: لوين أبو ذر؟ أجبته بلهجة فيها مسحة غضب مازحة: لاتقلق، اتركني بحالي. كانت التاسعة والنصف ليلا.أجمل منظر أراه مع حريتي الجديدة منظر أضواء البيوت وهي تنحدر على سفوح جبل قاسيون. نسيم لطيف بارد. جائع جدا فنزلت إلى ساحة فيكتوريا وأكلت بنهم سندويشة شاورما التي كانت رائحتها تملأ الأجواء. هل أذهب للبيت؟ ماذا لو كان أهلي لايزالون في سورية؟ الوقت ليل وليس مناسبا وربما تكون صدمة ظهوري بعد اثني عشر عاما أمرا ليس بالجيد فقد سمعت قصصا كثيرة عن إغماءات نتيجة الظهور غير المتوقع. قررت أن أذهب إلى فندق وأنتظر للصباح. دخلت فندقا وراء وزارة الداخلية وطلبت غرفة

مفرد لما مزوج؟

مفرد

آسف ماعنا غير مزوج

خرجت ثم عدت قائلا: مزوج بس لاأريد أحدا معي. كنت سمعت قصصا من السجن أن الفنادق بيوت دعارة وكلمة مزوج تعني مومس .

ممكن بطاقة الهوية؟

ليس معي بطاقة ولكن لدي أمر إخلاء سبيل يعرف بي

آسف لاأستطيع

لقد خرجت للتو من فرع التحقيق العسكري وعلى ذمتي لن يحاسبوك

آسف لاأستطيع, لانقبل سكان دمشق في فنادق دمشق!

ممكن أستخدم الهاتف؟

لامانع

يرن الهاتف في البيت ويلتقطه صوت نسائي فأطلب والدتي لكن الهاتف يغلق علي. فما كان مني إلا أن أخذت سيارة تاكسي إلى المنزل.. أغرب منظر أراه هو الأشجار الكبيرة العالية على اتوستراد المزة بعد أن تركتها شتلات قصيرة.. تزداد دقات قلبي وأنا أقترب من باب البيت. غيرت رأيي وأنا أهم برن الجرس فدققت باب الجيران. يفتح الباب ويطل شاب لبق

هل أبوك لايزال هنا؟ كانت كلمة "لايزال" غبية أقلقت محدثي فقال بلهف: طبعا

يتعرف الجيران علي فأدخل

ظنناك في تركيا, تدرس!

تركيا؟ أدرس؟ كنت في السجن 12 سنة

أهلك غادروا منذ سنوات لأمريكا وانقطعت أخبارهم. منزلكم مؤجر لطلاب من لبنان

ممكن أهاتف عمتي؟

طبعا طبعا

تغيرت أرقام الهاتف منذ سنوات لكن استطعت الحصول على رقمها

مرحبا عمتي، أنا براء، ممكن أراك؟

طبعا، هل خرجت بشكل رسمي؟

نعم

أخذت تاكسي وكان الوقت منتصف الليل، ابن عمتي يشير إلي من بعيد.

ولادة جديدة

20 تشرين الثاني 1995 – 12 تشرين الثاني 1996



٢٠ تشرين الثاني ١٩٩٥

حياة جديدة، كل شيء حولي غريب. مكثت عبءا على بيت عمتي لشهرين ونصف قبل أن أستأجر منزلا في الوسط التجاري لدمشق في حي الجسر الأبيض. كنت أسير كثيرا في المطر وأنا أحمل شمسيتي وأتأمل بما حولي وكأنني في حلم. دائما أحببت تلك الرائحة، رائحة التراب إثر نزول المطر. علم أهلي بخروجي ذلك اليوم وكان صوتا رائعا صوت والدتي وإخوتي على الهاتف. كان والدتي غير مصدقة وهي تنادي باسمي متسائلة. أصبحنا نتكلم على الهاتف باستمرار طوال العام، وكان أمرا مكلفا للغاية لكلينا. لم يكن لدي أزمة مال والحمد لله فقد أرسل لي إخوتي مايكفيني ثم نزلت إلى حماة لأستلم من وكيل العائلة ماتجمع من آجارات على مدى عقد من الزمن.ذهبت إلى بيتي في حي المزة للحصول على أوراقي الثبوتية التي تركتها ورائي منذ ١٢ عاما. فتحت الصناديق وسط غبار يعج وعناكب وحشرات ميتة في ثنايا الثياب والأوراق. واضح أن زمنا ثقيلا مر علي وعلى أسرتي. أجهشت بالبكاء وبصوت عال ولدقائق دون أن أتمالك نفسي. تركتني عمتي وحيدا أستعيد هدوءي

٧ كانون الأول ١٩٩٥

عند إخلاء السبيل عينوا للسجناء موعدا لمراجعة فرع التحقيق العسكري بعد ثلاثة أسابيع. كنت خائفا للغاية فلاأريد رؤية سجون ولامخابرات. قلت لعمتي أن تبلغ سلامي لأهلي إن لم أعد. في فرع التحقيق قدموا لنا قهوة وشاي، أمر غير معهود من مخابرات وبفرع تحقيق مشهور بسمعته وسطوته. أدخل إلى غرفة فيها ضابطان واضح أنهما علويان من لكنتهما وواضح أنهما ثقيلان من هدوءهما. لم أرهما بعد ذلك.

اسمك، والدك، والدتك، أخوالك؟

هذه المرة الأولى التي يطلب مني اسم أخوالي

أحد الضباط: عدنان خالك، ماالكنية؟ سعد الدين؟ عدنان سعد الدين؟ هو ماغيره؟

نعم هو ماغيره!

الله لايعطيه العافية، خرب البلد

لم أعقب وكان ذلك أغرب ماصادفت فلم أسأل عنه مطلقا بعد ذلك، ذلك الاسم الذي أخافني أن يكتشفوا قرابتي منه طوال سني السجن. بقيت قلقا بعدها أن أطلب لاستجواب عنه لكن ذلك مر وأصبح ذكرى. كان هذا اللقاء الوحيد في فرع التحقيق العسكري وكان الهدف منه هو فرز السجناء المخلى سبيلهم إلى فروع معينة للمراجعة الشهرية وعادة يحال السجناء الى الفرع الذي اعتقلهم. الغريب أنهم أحالوني إلى فرع المنطقة للمخابرات العسكرية بدمشق بدل أن يحيلوني إلى فرع حماة الذي اعتقلني. لم أعرف سبب ذلك أهو خطأ أم التباس أم أمر مدروس وعلى كل كان ذلك لمصلحتي إذ كانوا أفضل تعاملا مع المراجعين في العاصمة مقارنة مع نظيراتهم في المدن وكنت أسمع القصص من أصدقائي فيما بعد. أعطوني قصاصة ورق مطبوع عليها تاريخ ومكان المراجعة. عدت من الفرع ذلك اليوم وكأنني أخلي سبيلي للتو.

١ شباط ١٩٩٦

اليوم هي المراجعة الثانية في فرع المنطقة. أجلس قليلا في غرفة المساعد أحمد. كان لطيفا يسألني بلهجة علوية واضحة، كيف صحتك؟ الحمد لله. عند انتهاء اللقاء واضح أنه كان بانتظار أمر ما. المعلم بحب يشوفك. يقودني إلى غرفة واسعة مكيفة. العميد هشام يستقبلني بمودة واحترام.

كيفك يابراء

الحمد لله

اسمك ضعيف شو القصة؟

والله متلما تقول والدتي: حياتي متل الطالع بطلوع

ولو نحنا ماطالعناك لنعذبك لولا ان وجدناك اهلا لاخلاء السبيل لما فعلناه

أين أهلك

بامريكا

وماذا تريد؟

أريد أن أراهم

لم لايأتون لرؤيتك؟

لاأدري

والدتك تكلمت بشأنك كثيرا، الله يسامحها لكن لاتظن أننا أخرجناك بسبب ذلك وإنما لأنك أهل لها. خذها وعدا مني، جواز سفرك علي لكن عليك أن تكف بحث الشرطة الجنائية عنك لأنك مطلوب بتهمة التخلف عن الخدمة العسكرية وهم لايعلمون أنك كنت عندنا (يقولها وكأن الأمر طبيعي أن يلاحقني الجيش بتهمة عدم الالتحاق بالجندية بينما أنا معتقل عند مخابرات الجيش لأكثر من عقد من الزمن).

فقط أريد منك شيئا واحدا عندما تنهي ذلك: قبل أن تسافر أريدك أن تزورني لتودعني.

سأفعل

يصا فحني وأنصرف. خرجت من عنده والدنيا لاتسعني من فرحتي لكن هل هذا معقول ولم ومتى..عشرات الأسئلة وأمل حذر.

١٤ شباط ١٩٩٦

أستأجر شقة في حي الجسر الأبيض على سفح جبل قاسيون وسط الحي التجاري. كل شيء على مايرام إلا أن جرس الهاتف كان يرن كلما عدت إلى الشقة لأسمع صوتا يحقق معي أين كنت. ترك ذلك أثرا سيئا وشعورا بعدم الاطمئنان. كنت أدافع الأيام مدافعة أحاول تمضية الوقت بالقراءة لكنني كنت أحس بأنني على الهامش بلاشهادة ولاعمل ولاأسرة. كان وقع الأيام ثقيلا يخفف عني أنني حر طليق، دمشق الجميلة تنساب أضواؤها على السفوح من شقتي، أزور أقاربي بين الفترة والأخرى، أكلم أهلي هاتفيا كل أسبوع وأزور أصدقائي في دمشق وحماة مرتين بالشهر.

١ أيار ١٩٩٦

اقتنع الطلاب المستأجرون أن يتركوا لي منزل العائلة فأمضيت شهرا كاملا أنظفه بعد أن انتقلت إليه. أصبحت الحياة رتيبة هادئة لايعكرها إلا المراجعة الشهرية للفرع فكنت أرمي الستائر وأرتب البيت وكأنني مغادر بلاعودة. أمقت دمشق قبل مراجعة المخابرات ثم أحبها بعد المراجعة وهكذا كل شهر..استطعت بعد جهد ومراجعات للدوائر الحكومية أن أكف بحث الشرطة الجنائية وأنهي الحجز عن الأملاك وأن أحصل على تصريح العودة للجامعة والبدء بمعاملة الجندية لتقديم طلب جواز سفر. كان سفري شبه أسبوعي لحماة لملاحقة المعاملات وكانت أغنية حبيبي يانور العين وأغنية ساكن وأغنية بغنيلا وبدقلا وغير بحبك مابقلا مثل فرض الصلاة بالباصات والتكاسي وبكل مكان..

تموز ١٩٩٦

بسبب معاملة جواز السفر التي تبدأ من شعبة التجنيد بحماة والتي تحتاج لموافقة المخابرات في المدينة نفسها، تم استدعائي لفرع المخابرات العسكرية بحماة عن طريق الدكتور مروان الفرا وهو وزير سابق وجار للعائلة عندما كنا نسكن في حماة. يقع الفرع بعيدا عن المدينة فأخذت سيارة أجرة. ذكريات التحقيق تتراءى أمامي وأنا أدخل غرفة الانتظار لأرى صديقا من تدمر منقوعا في مراجعته هناك. تبادلنا التحية بالأعين دون أن نجرؤ على الكلام. ساقوني بعد انتظار إلى غرفة رئيس الفرع العميد حليمة. الغرفة واسعة مضيئة ومليئة بأناس يبدو أن لهم علاقات معه.

ماإن رآني حتى صاح بي: ليش هادا مابراجعنا

لأأعلم، بعد إخلاء السبيل فرزوني لفرع المنطقة

مين سمحلك تقدم على جواز سفر؟

العميد هشام من فرع المنطقة

استشاط غضبا وهو يسمع اسم العميد هشام

وليش بدك جواز سفر

بدي شوف أهلي

وليش أهلك مابيجو، لأنهم مجرمين متلك

أهلي مانن مجرمين، أجبته بحنق

خدوا عالقبو وحقق معه

أرعبتني الجملة الأخيرة وفعلا أنزلوني إلى القبو حيث كنت قبل اثني عشر عاما إلى غرفة جدرانها ذات طبقة فلين عازلة للصوت. استغرق الاستجواب حوالي الساعتين، أو هكذا شعرت. بعدها أطلقوني لكن ماإن وصلت إلى غرفة الحراسة الخارجية حتى سمعت صوتا من الغرفة يعتذر باسهاب: والله سيدي مالي خبر.أعادوني ثانية إلى مبنى الفرع. هنا أسقطَ في يدي وظننت أني معتقل لامحالة. أصعد إلى الطابق الأول. الممرات تشطف بالماء. يتركونني أسير وحدي إلى غرفة العقيد الشعار أحد محققي الفرع. يسألني بلباقة عن اسمي وإن كنت أريد شيئا: طيب مع السلامة، سلّم. قلت له: هل هناك شيء آخر تريده مني؟ لاأبدا فقط أردت أن تمر بي لاأكثر.أدركت أن العقيد شعر بالإهانة أنهم أخلوا سبيلي دون أن يمرروني به فكان ماكان لكن أعصابي تلفت بسبب خاطر سيادته والله أعلم كم كيلو نقص وزني. كان إخلاء سبيل حقيقي. تتابعت الأيام وحصلت على جواز سفر لسنة واحدة وللولايات المتحدة فقط. كانت العقبة التالية هي الحصول على تأشيرة زيارة من السفارة الأمريكية بدمشق والتي رفضتني في المرة الأولى ثم منحتها لي في آخر تشرين الأول. خلال مراجعات الفرع التي أصبحت أكثر تسارعا من قبل, بدؤوا يضغطون علي نفسيا بإجباري على حضور جلسة تحقيق مع مهربين, يشتمونهم ويضربونهم وأنا جالس في نفس الغرفة.

٦ تشرين الثاني ١٩٩٦

كنت مترددا هل أزور العميد هشام اختيارا أم لا كما طلب مني أول العام. قررت زيارته وكان لبقا لطيفا كاللقاء الأول بداية العام

براء لاأريد منك شيئا إلا أن تعتني بصحتك وأن تسلم لي على والدتك وأن تبقى على اتصال

أعطاني قصاصة ورق عليها اسمه ورقم صندوق بريده

١٢ تشرين الثاني ١٩٩٦

لم أودع أحدا من أقربائي توجسا أنني ربما أعاد من المطار.

موظف المخابرات في المطار ينظر إلى شاشة الكمبيوتر قائلا كنت ممنوعا من السفر لماذا؟

لاأدري

يدق قلبي بشدة وأنا أمشي خلفه.

أدخل غرفة متسخة فيها الكثير من الخزائن والأوراق

أنت ممنوع من السفر

كيف ممنوع وقد كنت عند العميد هشام الأربعاء الماضي!

يتلعثم قائلا: ماقلنا شي

هنا أدركت أنه يريد رشوة فقلت له: كم تريد

اللي تطيب به نفسك

أعطيته مائة دولار وأبقيت مائة أخرى

انفرجت أساريره وأصبح شخصا آخر مختلفا: بس لاتقول لحدا

أقول لمن؟ أنا مسافر

أدعو الله أن تقلع الطائرة قبل ميعادها قبل أن يغيروا رأيهم ويعيدوني. فعلا أقلعت الطائرة إلى شيكاغو متوقفة بلندن قبل ميعاد الإقلاع بعشرين دقيقة. جبل قاسيون قالح المنظر من بعيد، سورية بلد ظلم. ألمح خليج اسكندرونة وهنا أرتاح قليلا أنهم لن يستطيعوا تغيير مسار الطائرة. هذا هو إخلاء السبيل الحقيقي. كنت قد خبأت هذه الآية منذ سنوات إن مكنني الله من الخروج من سورية:

"الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين. رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين".

خاتمة

المقالة التي نشرت في جريدة النور في مدينة أتلانتا, ولاية جورجيا.

سجن تدمرالعسكري في سورية: إرهاب دولة أم دولة إرهاب؟

24 نيسان 2011



سجن تدمر العسكري. الأرقام تشير للباحات

طوال خمس عشرة سنة, منذ إخلاء سبيلي من سجون حافظ الأسد, الرئيس السوري السابق, قمت بعدة محاولات لكتابة مذكراتي لكن لم أستطع. كانت محاولة الكتابة أشبه بالدخول ثانية في كابوس لذا أجد نفسي بعد عدة صفحات أتوقف وأمسح ماكتبته, ليس بعد الآن. الفظائع التي ترتكبها قوات بشار الأسد, الرئيس الجمهوري الوريث, ضد المتظاهرين المسالمين في المدن والقرى السورية والتي أشاهدها كل يوم على اليوتوب وقنوات التلفزيون لم تدع لي خيارا. التنديد بهذه الفظائع, قولا وعملا, هو واجب أخلاقي وإنساني. لأخذ فكرة عن الظروف التي يعيشها السوريون تحت الحكم العسكري منذ أن جاء في 8

آذار 1963 ولتفهم مطالب الحرية التي ينادي بها السوريون, إن كانت الحرية تحتاج لتوضيح, أحب أن أعبر عن رغبة حملتها منذ سنين.

كانت لي أمنية ان أرى سجن تدمر العسكري القابع في وسط الصحراء السورية قرب الآثار الرومانية الشهيرة. مع أنني دخلت ذلك السجن كسجين سياسي ضمن سجناء [عديمي] الرأي في الحادية والعشرين من عمري ومكثت فيه تسع سنين لكن ليس لدي تصور كاف عنه. كيف؟ دخلت سجن تدمر في ٦ حزيران ١٩٨٤ وخرجت منه في ٥ كانون الثاني ١٩٩٣ منقولا إلى سجن صيدنايا العسكري، لكن في كلتا الحالتين كنت مطمشا، عندما دخلت وعندما خرجت. وهذه "الطماشة" أو "الطميشة"، وهي قطعة القماش او الجلد التي توضع على العينين لمنع النظر, ستلازمني معظم سني تدمر عند الإنتقال عبر باحات السجن وأثناء النوم، نعم، أثناء النوم، لأن سقوط الطماشة وأنت نائم يعني الضرب المبرح وربما الموت، فالنوم ليس عذرا في تدمر .

حتى بعد إخلاء السبيل لم أجرؤ أن أذهب إلى تدمر ولو لإلقاء نظرة من الخارج على ذلك المكان المجهول. أمضيت سنوات أبحث عن صور للسجن على الانترنت وحصلت على عدد قليل أخذها بعض السياح من قلعة تاريخية تطل عن بعد. لن يخطر ببالي يوما أنني سأستطيع رؤيته من الجو ، شكرا لخدمة Google Maps and Earth. يتألف السجن من سبع باحات مزفتة، يحيط بكل باحة عدد من الغرف نسميها مهاجع مختلفة الاحجام عددها يزيد على الأربعين. لايوجد ترتيب لترقيم الباحات أو الغرف، وبعض المهاجع لها أسماء غريبة. فمثلا مهجع "جديد جديد" في الباحة الثالثة, اسم يتالف من كلمتين وليس خطأ كتابيا, أو مهجع "أبو الشوارب" في الباحة السادسة.

لايوجد في سجن تدمر أدنى مقومات الحياة. كل شيء ممنوع من الأقلام والورق الى إبر الخياطة إلى الكلام إلى فتح العيون إلى الوضوء والصلاة. كل لوازم الحياة فيه شحيحة من الماء الذي أحيانا كان علينا أن نمصه من البواري إلى الهواء (كانت الاختناقات الناجمة عن الحر والازدحام أمرا اعتياديا) إلى الصابون إلى الطعام واللباس. سئلت كثيرا عن تدمر وأجيب بأنه الخوف بكل مرادفاته: الرعب، الفزع، الهلع..اللغة لاتستطيع التعبير. الخوف شعور داخلي أن قلبك تحس به عضويا بين رجليك وليس في صدرك، الخوف يتكون من شكل الوجوه والتفاتة الأعين كلما اقترب موعد حفلات التعذيب بمختلف تسمياتها: الاستقبال, التنفس، التفقد، الحلاقة، المحكمة، الحمامات، الخ.... أي فتحة باب من قبل الشرطة العسكرية تعني المصير المجهول من الضرب المبرح وإلى الموت. الخوف في تدمر له موسيقا تصويرية كأي فلم رعب. صرير الأبواب الحديدية الثقيلة الصدئة وهي تفتح وتغلق، هدير أقدام السجناء الحافية فوق الرمل المزفت كدقات طبول الحرب، صوت تلقيم البواريد الروسية من فوق الأسطحة المطلة على الباحات، صوت لسعات الكرابيج برتابة لامبالية، ثم صوت الصرخات التي يأتي صداها عبر النوافذ المرتفعة إلى حشود السجناء الصامتين المنتظرين. مجموع هذه الأصوات يتداخل كل يوم من الصباح وإلى المساء ليصوغ ماأسميته "سمفونية الرعب". وهذا الخوف بمرادفاته خاص بتدمر ولايشبه أي خوف آخر. إنه شعور مقترن بالمكان أو ربما باسم تدمر نفسه الذي يحمل الدمار بين طياته.

لاشك أيام التحقيق كانت قاسية بالنسبة لي في فروع المخابرات في حماة ودمشق أوحتى صيدنايا فيما بعد. لكن تدمر أمر مختلف تماما. إلى الآن لاأعرف كيف قذفوني مع أفراد دفعتي العشرين من طلاب الجامعات السورية من السيارة الى

الأرض. هذا الاستقبال الحافل بالصفعات والركلات ولسع الكرابيج والشتائم سيصبح الحياة اليومية الرتيبة حتى بات حلما فيما بعد وقف التعذيب فقط وليس إخلاء السبيل. منظر الحيطان الصفراء وهم يسوقوننا عبر الباحات كأنك في رحلة عبر التاريخ إلى العصور الوسطى.آثار طلقات الرصاص وبقايا الدم المتجمد على الجدران الداخلية والسقوف لمهاجع 4, 13 و 15 كانت ذكرى مستمرة للمئات من السجناء الذين قتلوا في 27 حزيران 1980 على يد قوات أسد. مرت علي سنوات كنت أحس فيها أنني في العالم الاخر باستثناء لحظات سماع الأذان من مساجد البلدة القريبة. لاأزال أذكر أول يوم أخرجونا فيه ل'التفقد' وهو العد الإجباري للسجناء. الركل والرفس والعفس من كل حدب وصوب ثم العودة إلى المهجع تحت وابل من لسع الكرابيج.
لاأزال أذكر نفسي وأنا أنظر بوجه محتقن لأصدقائي محاولا التقاط أنفاسي "ياشباب هيك بدنا نعيش؟". لم يخطر ببالي أن هذا هو الأول من آلاف قادمة من الأيام. الحمد لله أن حجب الغيب. لم يتركوا وسيلة للتعذيب أوالإهانة إلا واستخدموها في تدمر، وكانت صرخات الألم وحدّتها أو حتى توقفها الفجائي أو المتدرج ينبئ عن وسيلة الضرب بالكرباج أو بقضبان الحديد. مرت علينا أيام كنا إن رأينا الكرباج نستبشر لأنه أخف وطأة من الرفس ب"البسطار العسكري" أو الضرب بقضبان الحديد. صدقوني، الكرباج أخف. وحتى لو كنت تترنح من الألم، فعليك أن تؤدي التحية العسكرية بضرب الأرض برجلك اليمنى تعبيرا عن الامتنان.

مع مرور السنوات كانت تدمر بباحاتها السبعة تزداد عذابا وقسوة، أشبه ماتكون بجهنم مصغرة. كل يوم يمضي وتبقى فيه حيا فقد كتب لك عمر جديد. تدمر كانت منعطفات موت إن نجوت من واحد خدشك الآخر. إن نجوت من الإعدامات الأسبوعية، لم تنج من موت الباحات. وإن نجوت من الموت أصابتك الكسور أو أمراض الجرب والسل وفقر الدم وسوء التغذية. كثير من أصدقائي المتشائمين كانوا يرددون: "تدمر: الداخل مفقود والخارج مولود" و "ولدنا هنا وسنموت هنا". ربما هذا صحيح لأكثر من أحد عشر ألفا أعدموا شنقا ومئات قتلوا في الباحات نتيجة التعذيب أو في المهاجع نتيجة المرض.

لازالت لدي أمنية: أن أدخل سجن تدمر ثانية، لا كسجين معاذ الله، لكن لأصور الباحات والمهاجع التي عشت فيها، لأتأمل، لأصلي، لأبكي إخوة لي ضحوا بحياتهم وصحتهم من أجلي وحموني بأجسادهم لأبقى حيا أخط هذه الكلمات. كثيرا ماكنا نتناقش فيما بيننا، من باب التفاؤل، ماذا سنفعل بسجن تدمر إن عادت سورية حرة ورحلت دكتاتورية الاسد. كان تصوري أن نجعل سجن تدمر متحفا للدكتاتورية في أروقته لوائح زجاجية أنيقة توثق بالأسماء وبالتواريخ حجم الجريمة التي ارتكبت في هذا المكان. أما زاوية الباحة السادسة حيث أعدم شنقا أحد عشر ألفا، على أقل تقديراتنا، من الشباب السوري المثقف فأتصورها مسجدا لتذكر أرواح أبطال الحرية الأوائل الذين قضوا دون أن يعلم بهم احد.



الجمهورية العربية السورية
القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة
شعبة المخابرات ـ فرع مخابرات دمشق
ـ*ـ

« بطاقة مراجعة »

الاسم والشهرة : [illegible]

براجع يوم .... الواقع بتاريخ [illegible]

الساعة .... مكتب / ٣

آخر بطاقة لمراجعة الفرع لكنني سافرت قبل الموعد بأربعة أيام



الجمهورية العربية السورية
وزارة الداخلية
قوى الامن الداخلي
ادارة الامن الجنائي
فرع التسجيل الجنائي
قسم السجل العدلي

تعتبر صالحة لمدة ثلاثة أشهر فقط

الرقم المتسلسل

رقم ٨٢_٧٥ خ

خلاصة السجل العدلي (تذكرة رقم ٢)الصادرة

الاسم : ....
الكنية أو اللقب : ....
اسم الاب : ....
اسم الام : ....
مكان وتاريخ الولادة : ....

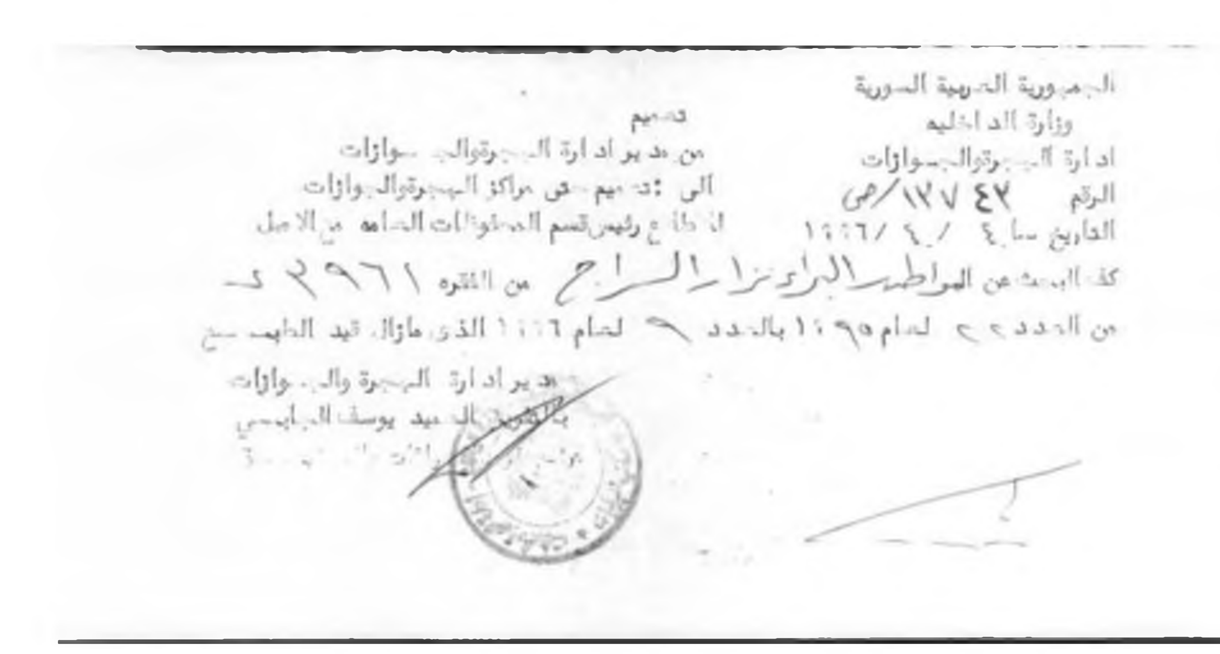
محل ورقم القيد : ....
اسم المحافظة المقيد فيها : ....
الجنسية : ....
محل الاقامة الحالي : ....
رقم وتاريخ البطاقة الشخصية أو قيد النفوس

اسم المحكمة	نوع الجرم	تاريخ ورقم الحكم	العقوبة
محكوم			

منظم الوثيقة — مصدق الشعبة — مصدق السجل العدلي

السعر ٢٠٠ ق.س

الجمهورية العربية السورية
القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة
ادارة القضاء العسكري
دائرة القاضي الفرد العسكري بحماة
الرقم/ ٤٤٢/ح ١٩٩٦/
التاريخ ٢ / ٤ / ١٩٩٦م
الى :
ادارة الامن الجنائي بدمشق – قسم النشرة
الشرطية يرجى كف البحث عن المحكوم البراء نزار السراج بالقرار رقم/ك ٢ح بالدعوى أساس ١٧
تاريخ ٢٦ / ٦ / ١٩٩٥ بجرم الفرار
والمنشور اسمه بالنشرة الشرطية بالعدد
لعام ١٩٩٥ الفقرة / / نظراً لشمول الجرم
بقانون العفو رقم / لعام ١٩٩٦م
للتنفيذ
القاضي الفرد العسكري بحماة



الجمهورية العربية السورية
وزارة الداخليه
ادارة الهجرة والجوازات
الرقم ٤٢ ١٢٧/ص
التاريخ ٤ / ٤ / ١٩٩٦

تعميم
من مدير ادارة الهجرة والجوازات
الى : تعميم على مراكز الهجرة والجوازات
للاطلاع رئيس قسم المطلوبات العامه من الاصل

كف البحث عن المواطن البراء نزار السراج من الفقره ٢٩٦١١ د
من العدد ٢ لعام ١٩٩٥ بالعدد ٩ لعام ١٩٩٦ الذي مازال قيد الطلب

مدير ادارة الهجرة والجوازات
بالتفويض العميد يوسف

الجمهورية العربية السورية
وزارة الداخلية
ادارة الامن الجنائي
قسم النشرة الشرطية
الرقم / ص و ١٢٠ / كف

الى مدير ادارة الهجرة والجوازات

سيكف البحث عن المواطن البراء نزار السراج موضوع الفقرة ١٦٩٦٢٧ من العدد / ٣٢ / لعام ١٩٩٥ بالعدد / ٩ / لعام ١٩٩٦ الذي مازال قيد الطبع

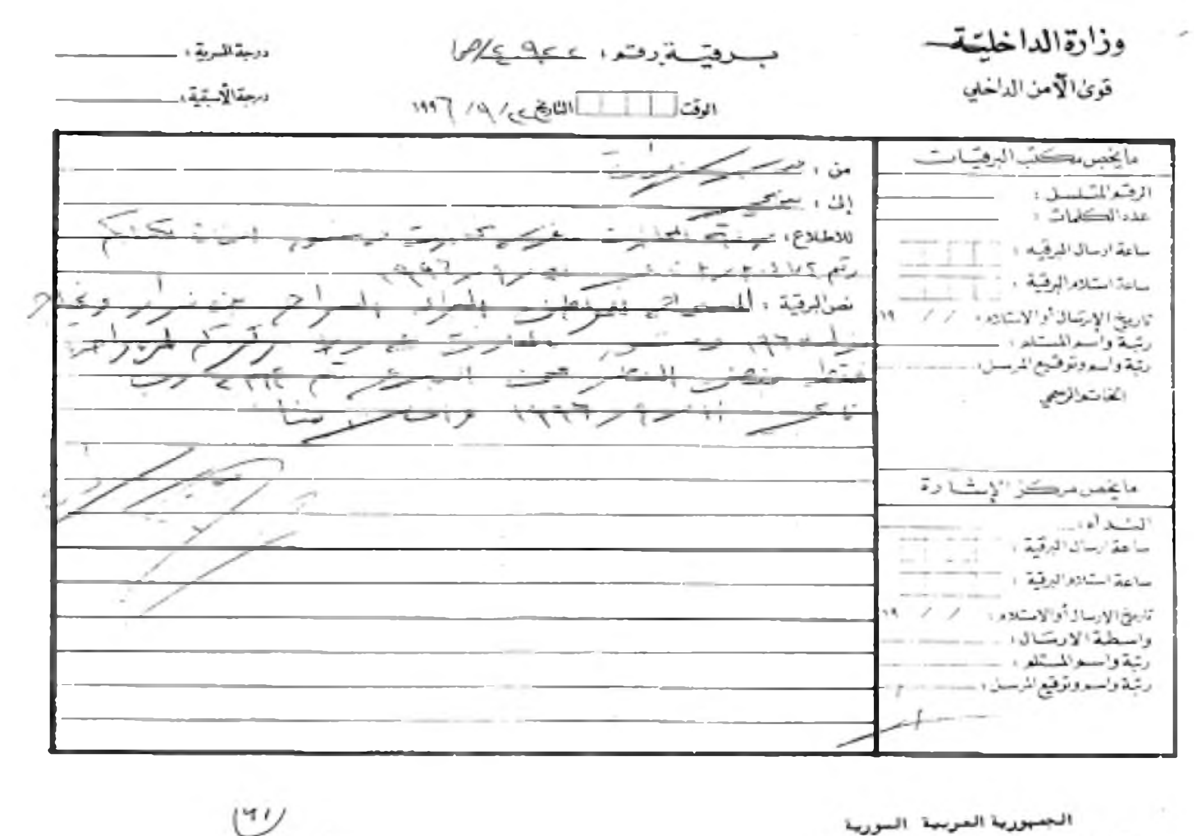
يرجى الاطلاع /

دمشق ٤/ ٦ / ١٩٩٦

المدقق
[illegible]

الجمهورية العربية السورية
القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة
ادارة القضاء العسكري
النيابة العامة العسكرية بدمشق - التنفيذ
الرقم / ٢١٠٠ / [illegible]
الى :- [illegible]
[illegible] البراء [illegible]
[illegible] ١٩٦٦ دمشق [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

دمشق في ١٤/ ٥ / ١٩٩٦م
العقيد خضر ابراهيم خليل
رئيس النيابة العامة العسكرية بدمشق



وزارة الداخلية
قوى الأمن الداخلي

برقية رقم :
الوقت :
التاريخ : /٩/ ١٩٩٦

درجة السرية :
درجة الأسبقية :

من :
إلى :
للاطلاع :
رقم :
نص البرقية :

ما يخص مكتب البرقيات
الرقم المتسلسل :
عدد الكلمات :
ساعة ارسال البرقية :
ساعة استلام البرقية :
تاريخ الإرسال أو الاستلام : / / ١٩
رتبة واسم المستلم :
رتبة واسم وتوقيع المرسل :
الخاتم الرسمي

ما يخص مركز الإشارة
النداء :
ساعة ارسال البرقية :
ساعة استلام البرقية :
تاريخ الإرسال أو الاستلام : / / ١٩
واسطة الارسال :
رتبة واسم المستلم :
رتبة واسم وتوقيع المرسل :

(٦١)

الجمهورية العربية السورية
القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة
شعبة المخابرات ■ فرع مخابرات دمشق
الرقم/ ٢٠٤٠٤٢٠/ ٣
التاريخ/ ٢١/ ٩ / ١٩٩٦

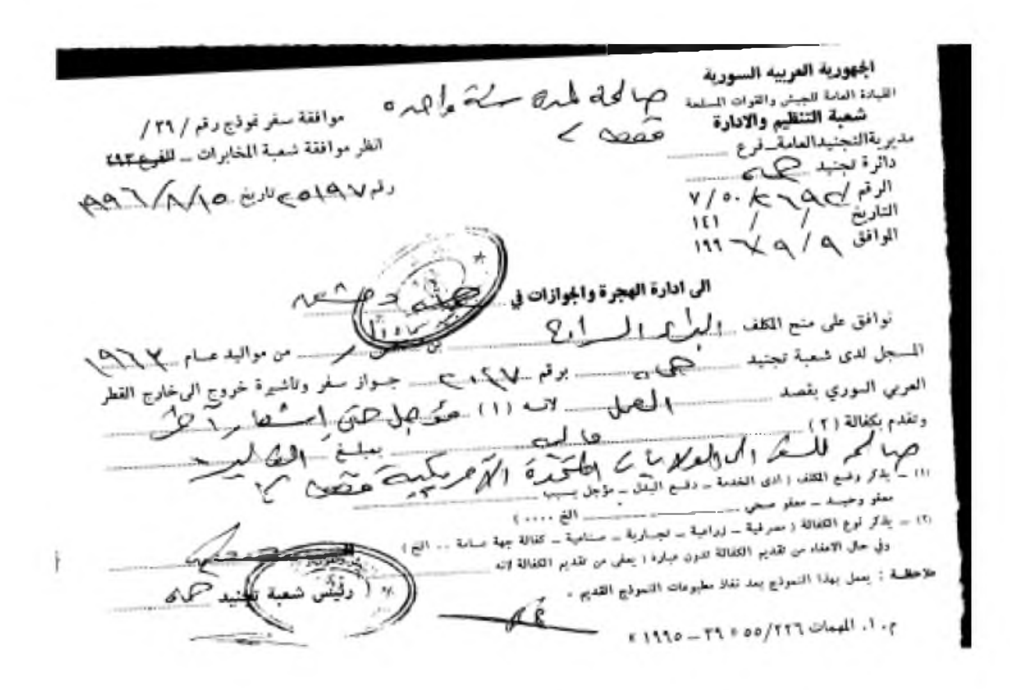
الى : ادارة الهجـــرة والجوازات ،

– بتاريخ ١٩٩٦/٥/١٢ راجعنا المواطن البراء السراج بن نزار والدته نجـــاح تولد دمشـــق /١٩٦٢/ استنادا للبلاغ رقم /٢٣٢٤٠/ب تاريخ ١٩٩٦/٩/١١ الصادر استنادا للتعميم رقم /١٤٢٥٦/ ٢٩٤ تاريخ ١٩٩٦/٧/٢٠ ،

– لذا لامانع لدينا من سفـــر المذكـــور خارج القطـــر ،

رئيس فـــرع مخـابرات دمشـــق

(أ/ي ( ) ،



الجمهورية العربيه السورية
القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة
شعبة التنظيم والادارة
مديرية التجنيد العامة ـ فرع
دائرة تجنيد

الرقم / ٧/٥٠
التاريخ / / ١٤١
الموافق ٩ / ٩ / ١٩٩

موافقة سفر توذج رقم / ٣٩ /
انظر موافقة شعبة المخابرات ـ للفرع ٢٩٣
رقم ٥١٩٧ تاريخ ١٥/٨/١٩٩٦

الى ادارة الهجرة والجوازات في

نوافق على منح المكلف

المسجل لدى شعبة تجنيد ...... من مواليد عام ١٩٦٢

العربي السوري بقصد ...... جواز سفر وتأشيرة خروج الى خارج القطر

وتقدم بكفالة (٢) ...... لانه (١) ......

بمبلغ

(١) ـ يذكر وضع المكلف (ادى الخدمة ـ دفع البدل ـ مؤجل بسبب
معفو وحيد ـ معفو صحي ...... الخ .....)

(٢) ـ يذكر نوع الكفالة (مصرفية ـ زراعية ـ تجارية ـ صناعية ـ كفالة جهة عامة ... الخ)
وفي حال الاعفاء من تقديم الكفالة تدون عبارة (يعفى من تقديم الكفالة لانه

ملاحظة : يعمل بهذا النموذج بعد نفاذ مطبوعات النموذج القديم .

رئيس شعبة تجنيد

م.١٠. المهمات ٥٥/٢٢٦ = ٣٩ ـ ١٩٩٥ x

بعض من مراسلات الأهل للضغط على الأسد لمعرفة مصيري

PAUL SIMON
ILLINOIS

COMMITTEES:
LABOR AND HUMAN RESOURCES
JUDICIARY
FOREIGN RELATIONS
BUDGET
INDIAN AFFAIRS

United States Senate
WASHINGTON, DC 20510-1302

July 10, 1991

Dr. Susan Hou
1427 William St.
River Forest, IL 60305

Dear Dr. Hou:

Thank you for your touching letter about Dr. Bara Al-Sarraj. I share your distress and can only imagine the agony of his family.

As you know, I am committed to the advancement of human rights worldwide. Inquiries such as yours are important to keep the attention of governments on human rights violations.

I have written to the Ambassador of Syria requesting that he look into this case and respond directly to you. I have also asked the Ambassador to respond to me so that he knows of my personal interest.

Thanks again for keeping me informed.

My best wishes.

Cordially,

Paul Simon
U.S. Senator

PS/awo

230 S. Dearborn
Kluczynski Bldg., 38th Floor
Chicago, IL 60604
312/353-4952

3 West Old Capitol Plaza
Suite 1
Springfield, IL 62701
217/492-4960

8787 State St.
Suite 212
East St. Louis, IL 62203
618/398-7707

250 West Cherry
Room 115-B
Carbondale, IL 62901
618/457-3653

JOHN KERRY
MASSACHUSETTS

United States Senate
WASHINGTON, DC 20510-2102

September 24, 1991

Hon. James Baker
Secretary of State
Department of State
Washington, D.C. 20520

Dear Mr. Secretary:

I have enclosed a copy of a letter from Aili Paal Singer of Shrewsbury, Massachusetts regarding a plea for information on Bara AL-Sarraj. Mr. AL-Sarraj was kidnapped from the University of Damascus in 1984. I urge you to do whatever possible to assist in this matter.

Thank you for your help.

Sincerely,

John F. Kerry
U.S. Senator

JFK/lag



Embassy of the United States of America

Damascus, Syria

November 25, 1991

The Honorable
Edward M. Kennedy
United States Senate
Washington, DC 20521-2101

Dear Senator Kennedy:

I am writing in response to your November 1, 1991 letter inquiring on behalf of a number of your constituents into the case of Bara al-Sarraj, believed to be held incommunicado by Syrian authorities.

I regret that we cannot confirm the information contained in your letter about the nature of Mr. al-Sarraj's offense or the condition of his imprisonment. Whenever the Syrian Government has responded to specific inquiries, as it did to the United Nations Human Rights Commission in 1988, it has either denied holding the individuals named or justified their detention on grounds that they were implicated in criminal or terrorist acts inside Syria. The Syrian Government considers expressions of interest by other governments in human rights cases as interference in Syria's internal affairs. Nevertheless, Syria's human rights record is an active part of our agenda in our bilateral discussions with the Syrian Government. The Syrian Ministry of Foreign Affairs has informed us it is making a greater effort to be more responsive to inquiries by Amnesty International and other human rights organizations about specific cases.

The 1991 Department of State report on human rights points out that "major human rights abuses--including torture, arbitrary arrest and detention, and denial of freedom of speech, press, association, and the right of citizens to change their government--continued to characterize the Syrian regime's record in 1990."

- 2 -

Through this document and our ongoing contacts, the Syrian Government is clearly aware of our concern about its human rights record. Former Ambassador Djerejian made a major presentation on Syrian human rights practices to senior Syrian officials in 1990, and the Embassy is continuing to engage the Syrian Government in this dialogue. I want to assure you that the Embassy uses every appropriate opportunity to reemphasize this concern and to press for an end to practices contrary to relevant international agreements on the protection of human rights.

With warm regards,

Sincerely,

Christopher W.S. Ross
Ambassador

EDWARD M. KENNEDY
MASSACHUSETTS

United States Senate

WASHINGTON, DC 20510-2101

August 5, 1993

Mr. Nisuke Ando
Chairman, United Nations Human Rights Committee
New York Office, Human Rights Center
United Nations
New York, NY 10017

Dear Mr. Ando:

I am writing to you on behalf of a number of my constituents concerning individuals detained by the Government of Syria for their alleged membership in political parties.

Farhan Nirbieh, Naser al-Ali, and Fadil al-Fadil were students at the time of their detention by the Syrian government for their alleged political activities. Farhan Nirbieh, born in 1954, was a civil engineering student at Damascus University at the time of his arrest in October 1980. He is being detained at Adra Prison in Damascus Province, near Duma. Naser al-Ali, a mechanical engineering student at Damascus University, was arrested in July 1983. He was born in 1963 in al-Sumwalda. The location of his detention is not known. Fadil al-Fadil, a university student born in 1956, was arrested in February 1982 and has since been detained at Kafr Susse in Damascus.

Bara al-Sarraj is believed to be held incommunicado by the Syrian authorities. On March 5, 1984, Mr. Al-Sarraj was forcibly taken from a lecture hall at the University of Damascus by the Syrian secret police, the Mukhabarat. It is my understanding that he has been held in the Tadmur jail since his arrest without having been formally charged, and that he suffers from scoliosis, severe back pain, and anemia. He has been denied access to a lawyer, and is prohibited from receiving phone calls, mail, or visitors.

Moreover, I understand that more than 100 health professionals are being detained for their alleged political activities or association. Dr. Ali Sarem, a 36 year-old dentist who has been designated as a prisoner of conscience by Amnesty International, has been jailed since his arrest in 1984 for membership in the Party for Communist Action. He is reportedly being held in the Tadmur jail and is reported to be in poor health.

Mr. Nisuke Ando
August 5, 1993
Page two

It is my understanding that these men are being detained solely for their actual or alleged membership in government-banned political parties. None of them has used or advocated violence, and they have not been formally charged or tried for any crime.

I would be grateful if you would inquire with the Government of Syria concerning the status of these individuals and other political prisoners, and inform me of your findings.

Thank you for your assistance in this matter. I look forward to your reply.

Sincerely,

Edward M. Kennedy

EDWARD M. KENNEDY
MASSACHUSETTS

ASL → Susan Hon MD

United States Senate
WASHINGTON, DC 20510-2101

August 10, 1993

Andrew S. Levey, M.D.
New England Medical Center Hospital
750 Washington Street, NEMCH #391
Boston, MA 02111

Dear Dr. Levey:

Knowing of your concerns regarding Bara Al-Sarraj, I thought you would be interested in seeing the enclosed letters.

The first letter is a reply to me from the U.S. Embassy in Damascus to a letter I had written, in December, to U.S. Ambassador Christopher Ross, regarding the detention of Syrian students. I am disappointed that our Embassy was unable to provide me with additional details regarding the status of these individuals. However, I am pleased that U.S. officials continue to press the Government of Syria on human rights matters.

Upon the Embassy's suggestion, I have written to Mr. Nisuke Ando, the Chairman of the United Nations Human Rights Committee, concerning Mr. Al-Sarraj and additional human rights cases that have been brought to my attention by other Massachusetts residents. I have enclosed a copy of that letter for your information, and I will be sure to inform you when I receive a reply.

You can be assured that I will continue to press for human rights in Syria, and I hope you will feel free to contact me if I can be of further assistance to you. Again, thank you for your letters, and for your concern on this important issue.

Sincerely,

Edward M Kennedy

Edward M. Kennedy

JOHN KERRY
MASSACHUSETTS

United States Senate

WASHINGTON, DC 20510-2102

Senator John F. Kerry
1 Bowdoin Square
Boston, MA 02114

April 6, 1994

Ambassador Walid Almoualem
Syrian Embassy
2215 Wyoming Avenue, N.W.
Washington, D.C. 20008

Dear Mr. Ambassador,

I am writing to inform you of a letter that I received from Dr. Al A Sarraj regarding the arrest and ensuing incarceration of his twin brother, Bara. Dr. Sarraj alleges that his brother was kidnapped by military intelligence on March 5, 1984 from the main hall at the University of Damascus, and has been held incommunicado ever since.

I would like to express my concern about the case of Bara Sarraj, and my hope that in the spirit of greater tolerance and openness, an inquiry will be promptly conducted. In this same spirit, I would like to express my hope that the human rights abuses documented in the enclosed are thoroughly investigated, and, should they be found to exist, terminated immediately.

Because of the desire of this office to be responsive to all inquiries and communications, your consideration and timely response to the attached would be most appreciated.

Please review the attached letter and send my office any information you have regarding this matter.

Thank you for your consideration.

Sincerely,

John F. Kerry
United States Senator

JFK\cjg\dec
Enclosure



United States Department of State

Washington, D.C. 20520

[illegible] 2 9 [illegible]

Dear Senator Simon:

I am responding to your March 7, letter regarding your constituent Dr. Al A. Sarraj's concern about his brother Bara, a Syrian citizen reportedly held prisoner by the Syrian Government since 1984.

Unfortunately, Bara al-Sarraj appears to be one of the many Syrian citizens who have been arrested in the past 14 years and held, often incommunicado, without charge or trial. Since December 1991, the Syrian Government has released over 4,000 security detainees in several mass amnesties. However, an additional 3,800 - 9,000 political prisoners remain in detention. The Syrian Government has also recently brought several hundred long-time political detainees to trial before the State Security Court and has indicated that it intends to try all its political detainees.

In the past, the Syrian government has not been responsive to foreign interest in individual cases of political prisoners. There have been signs recently, however, that the Syrian Government is attempting to be more responsive to the international community regarding Syria's internal human rights situation. We will certainly relay again to our embassy in Damascus and to the Syrian authorities your constituent's continuing concern for his brother. If we are able to obtain specific information on his situation, we shall provide it to you.

Respect for human rights is a fundamental facet of U.S. foreign policy, and our interest in human rights conditions throughout Syria is a central aspect of U.S.-Syrian relations. We continue to make this subject a prominent part of our diplomatic dialogue with the Syrian government at the highest levels.

I hope this information is helpful in responding to your constituents. If you belive we can be of further assistance, please do not hesitate to contact us again.

Sincerely,

Wendy R. Sherman
Assistant Secretary
Legislative Affairs

Enclosure:
Correspondence returned.

The Honorable
Paul Simon,
United States Senate.



United States Department of State

Washington, D.C. 20520

NEA/ARN Room 6250
US Department of State

January 3, 1995

Ms. Naja Saddeen
P.O. Box 25717
Chicago, Illinois 60625

Dear Ms. Saddeen:

I am writing in response to a letter you wrote some time ago to the U.S. Embassy in Damascus concerning your son, Bara Al-Sarraj. I wanted to ensure that you were aware that in response to our inquiries, the Syrian authorities have informed us that he was arrested on March 5, 1984. He was referred to the court on July 25, 1984, and was sentenced 20 years in prison on April 24, 1989.

We would very much appreciate it if you could forward to us any more recent information you have on your son's situation. Of course, we will also inform you should we learn anything further.

Respect for human rights is a fundamental facet of U.S. foreign policy, and our interest in human rights conditions throughout Syria is a central aspect of U.S.-Syrian relations. We continue to make this subject a prominent part of our diplomatic dialogue with the Syrian government at the highest levels.

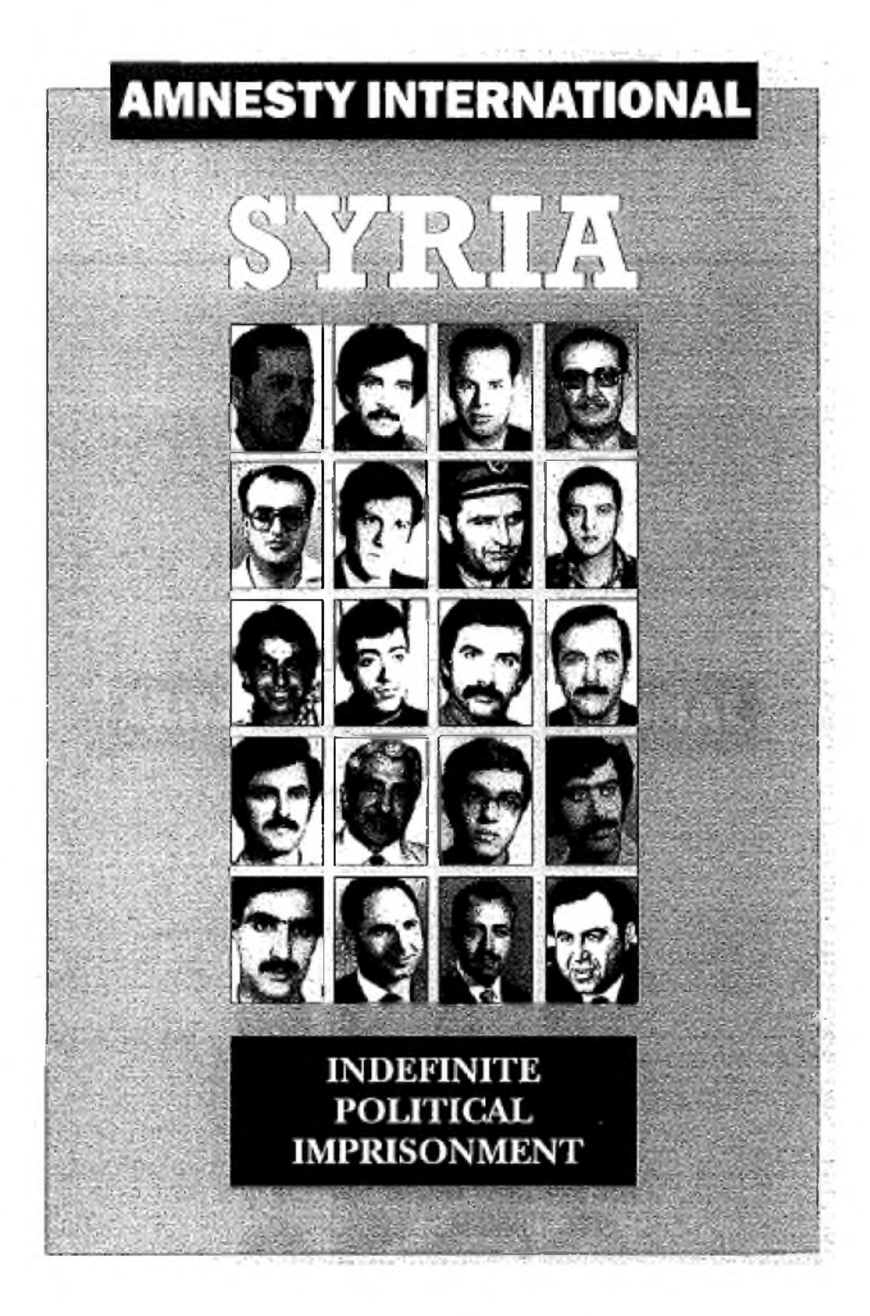
Thank you for your help.

202 647 4000

Sincerely,

Elizabeth Hopkins 202 647 1131
Office of Jordan, Lebanon,
Syria and Palestinian Affairs

963 11 3247938 Candice Putman


AMNESTY INTERNATIONAL
SYRIA
INDEFINITE
POLITICAL
IMPRISONMENT



Al-Hakam Karkoukli (left), now aged 30, was arrested in 1977 for suspected membership of the Muslim Brotherhood. He is believed to be in Saidnaya Prison. Mohammad Nezm al-Basha (below left), now aged 35, was detained in 1979 also on suspicion of belonging to the Muslim Brotherhood: he is still believed held but his whereabouts are unknown. Bara al-Sarraj (below right), now aged 28, was arrested in March 1984 and has since been detained, apparently for being the nephew of a leading member of the Muslim Brotherhood.





